
باتريك نس
نداء الوحش
Telegram:@mbooks90
فكرة
شيفون داود
رسوم
جيم كاي
ترجمة
هشام فهمي
منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
مرايا

ملاحظة من المؤلِّف

لم أنَل فُرصة لقاء شيڤون داود قَطُّ، ولا أعرِفها إلَّا كما يعرفها أكثركم، أي من خلال كُتبها الرَّائعة، أربع روايات مثيرة لصغار البالغين، اثنتان منشورتان في حياتها واثنتان بعد وفاتها المبكِّرة للغاية. إن لم تكونوا قد قرأتموها، فعليكم بمعالجة هذا الخطأ في الحال.

كان المفترَض أن يُعَدَّ هذا كتابها الخامس، وكانت عندها الشَّخصيَّات والفكرة الأوليَّة والبداية بالفعل، أمَّا ما لم يكن عندها - للأسف- فهو الوقت.

حين طُلب مني أن أفكِّر في تحويل عملها إلى كتابٍ ترددتُ، فما أبيتُ أن أفعله -ما لم أستطِع أن أفعله- هو كتابة روايةٍ أقلِّدُ فيها صوتها، إذ لكان ذلك إساءةً لها وللقارئ، والأهم للقصَّة. لا أظنُّ أن الكتابة الجيِّدة قابلة أبدًا للعمل بتلك الطَّريقة.

على أن ما يُميِّز الأفكار الجيِّدة أن أفكارًا أخرى تنبت منها، وقبل أن أتمالك نفسي تقريبًا وجدتُ أفكار شيڤون تُلهِمني أفكارًا جديدةً، وبدأت تنتابني تلك الرَّغبة القويَّة التي يشتاق إليها كلُّ كاتب، الرَّغبة في كتابة الكلمات على الصَّفحة، الرَّغبة في حكي قصَّة.

شعرتُ -وما زلتُ أشعرُ- كأن المسؤوليَّة انتقلَت إليَّ، كأن كاتبةً ممتازةً أعطَتني قصَّتها قائلةً: «اذهب، افعل بها شيئًا، اصنع المتاعب».
وهذا هو ما حاولتُ أن أفعله، وخلال الطَّريق كان لديَّ دليل واحد

يُرشِدني: أن أؤلِّف كتابًا أحسبُ أنه كان ليروق شيڤون. لا معايير أخرى كانت لها أهميَّة حقًّا.

والآن حانَ الوقت لأن أنقل إليكم المسؤوليَّة، فالقصص لا تنتهي عند الكُتَّاب مهما كان عدد مَن بدأوا السِّباق. ها هو ذا ما ابتكرتَه شيڤون وأنا، فاذهبوا إذن، افعلوا به شيئًا.

اصنعوا المتاعب.

باتريك نِس

لندن، فبراير/شباط ٢٠١١

إلى شيڤون





«يقولون إن الشَّباب يأتي مرَّةً واحدةً، ولكن ألا يستمرُّ وقتًا طويلًا؟ سنوات أكثر من قُدرتك على الاحتمال».

هيلاري مانتل، «تجربة في الحُب»

نداءُ وحش

ظهرَ الوحش بعد منتصف اللَّيل مباشرةً، كما هي عادة الوحوش.

كان كونر مستيقظًا حين أتى.

ليلتها رأى كابوسًا. ليس كابوسًا عشوائيًّا، بل الكابوس إياه المتسلِّط عليه في الفترة الأخيرة، كابوس الظُّلمة والرِّيح والصُّراخ، الكابوس الذي تفلت فيه اليدان من قبضته مهما حاولَ التَّمسُّك بهما بكلِّ ما يملك من قوَّة، الكابوس الذي ينتهي دومًا بـ...

- «ارحل». قالها كونر همسًا في ظلام غُرفة نومه، محاولًا أن يدفع عنه الكابوس لكي لا يتبعه إلى عالم اليقظة. «ارحل الآن».

ألقى نظرةً على السَّاعة التي وضعَتها أمُّه على المنضدة المجاورة لفراشه. ١٢:٠٧، سبع دقائق بعد منتصف اللَّيل، وهو الوقت المتأخِّر بالنِّسبة إلى عشيَّة يومٍ دراسي، والمتأخِر -بالتَّأكيد- بالنِّسبة إلى يوم أَحد.

لم يحكِ كونر لأيِّ شخصٍ عن كابوسه. ليس لأمِّه بالطَّبع، ولكن ليس لغيرها كذلك. لا لأبيه خلال مكالمتهما الهاتفيَّة كلَّ أسبوعين (تقريبًا)، ولا لجدَّته قطعًا، ولا لأحدٍ في مدرسته، لا أحد على الإطلاق.

ما يَحدُث في الكابوس يجب ألَّا يعرف به شخص آخَر أبدًا.

نظرَ كونر في أنحاء غُرفته ناعسًا، ثم قطَّب وجهه. ثمَّة شيء ما فاتَه.

اعتدلَ جالسًا في فِراشه وقد أفاقَ بعض الشَّيء. بدأ الكابوس ينزاح عنه، إلَّا أن هناك شيئًا آخر لا يستطيع تحديده، شيئًا مختلفًا، شيئًا...

أصغى مرهفًا أُذنيه في الصَّمت المخيِّم، فلم يسمع إلَّا المنزل السَّاكن من حوله، وبين الحين والآخر تكَّةً من الطَّابق السُّفلي الخالي، أو حفيف الملاءات من غُرفة أمِّه المجاورة.

لا شيء.

ثم شيء ما، شيء أدركَ أنه ما أيقظَه.

أحدهم يُناديه باسمه.

كونر.

شعرَ بالذُّعر يجتاحه واضطربَت معدته. هل تبعَه؟ هل خرجَ بوسيلةٍ ما من الكابوس و...؟

حدَّث نفسه قائلًا: «لا تكن سخيفًا، لقد كبرت على الإيمان بوجود الوحوش».

وهذا صحيح، فقد بلغَ الثَّالثة عشرة الشَّهر الماضي.

الوحوش للأطفال، الوحوش لمَن يُبلِّلون

الفِراش، الوحوش لـ...

كونر.

ها هو ذا مرَّةً أخرى. ابتلعَ كونر ريقه. شهر أكتوبر هذا دافئ

على غير العادة، ونافذته لا تزال مفتوحة. محتمل أن احتكاك بعض الستائر ببعضٍ في النَّسيم قد يصنع صوتًا مثل...

كونر.

حسن، ليست الرِّيح. مؤكَّد أنه صوت أحدهم، لكنه لا يعرفه. ليس صوت أمِّه حتمًا، وليس صوت امرأةٍ من الأصل، وهو ما جعلَه يتساءَل في لحظة جنونٍ إن كان أبوه قد جاءَ في رحلةٍ مفاجئة من أمريكا، ووصلَ في ساعةٍ متأخِّرة على الاتِّصال و...

كونر.

لا، ليس هذا أباه. لهذا الصَّوت طابع خاص، طابع وحشي، ضارٍ غير مروض.

ثم إنه سمعَ صرير خشبٍ ثقيلًا بالخارج، كأن شيئًا عملاقًا يخطو على أرضيَّةٍ خشبيَّة.

لم يُرِد أن يذهب لينظُر، لكن جزءًا منه في الوقت نفسه لم يُرِد أكثر من الذَّهاب والنَّظر.

الآن وقد استيقظَ تمامًا، أزاحَ كونر الأغطية وقامَ من الفِراش وذهبَ إلى النَّافذة. في ضوء القمر المعتم الشَّاحب رأى بوضوحٍ برُج الكنيسة فوق الرَّبوة الصَّغيرة الواقعة وراء منزله، الرَّبوة التي تنحني إلى جوارها سكَّة القطار في شريطيْن من الفولاذ الصُّلب يلمعان لمعةً باهتةً في اللَّيل. سطعَ القمر أيضًا على المدافن الملحقة بالكنيسة، الملأى

بشواهد القبور التي أوشكَ ما عليها من كتابةٍ أن يمحي.

رأى كونر أيضًا شجرة الطَّقسوس العظيمة المرتفعة من مركز المقبرة، الشَّجرة العتيقة لدرجة أنها تكاد تبدو مصنوعةً

هي والكنيسة من الأحجار نفسها. لم يعرف أنها شجرة طقسوس إلَّا لأن أمَّه أخبرَته بهذا في صِغره، لتضمن ألَّا يأكل من توتها السَّام، ثم عادَت تخبِره في العام الماضي، عندما بدأت تُحدِّق شاردةً من نافذة المطبخِ بنظرةٍ غريبةٍ على وجهها، وتقول: «هذه شجرة طقسوس». ثم إنه سمع اسمه ثانيةً.

كونر.

كأنما يُهمَس في كلتا أُذنيه.

- «ماذا؟!». قالها وقلبه يدقُّ بعُنفٍ وقد استعجلَ فجأةً حدوث ما سيَحدُث أيًّا كان.

عبرَت سحابة أمام وجه القمر كاسيةً المشهد كلَّه بالظَّلام، وهبَّت الرِّيح من فوق الرَّبوة إلى داخل غُرفته نافخةً السَّتائر، ومن جديدٍ سمعَ كونر صرير الخشب وطقطقته كأن كائنًا حيًّا يئنُّ، كأن بطن العالم الجائع يُقَرقِر مطالبًا بوجبة.

ثم مرَّت السَّحابة وعادَ القمر يسطع.

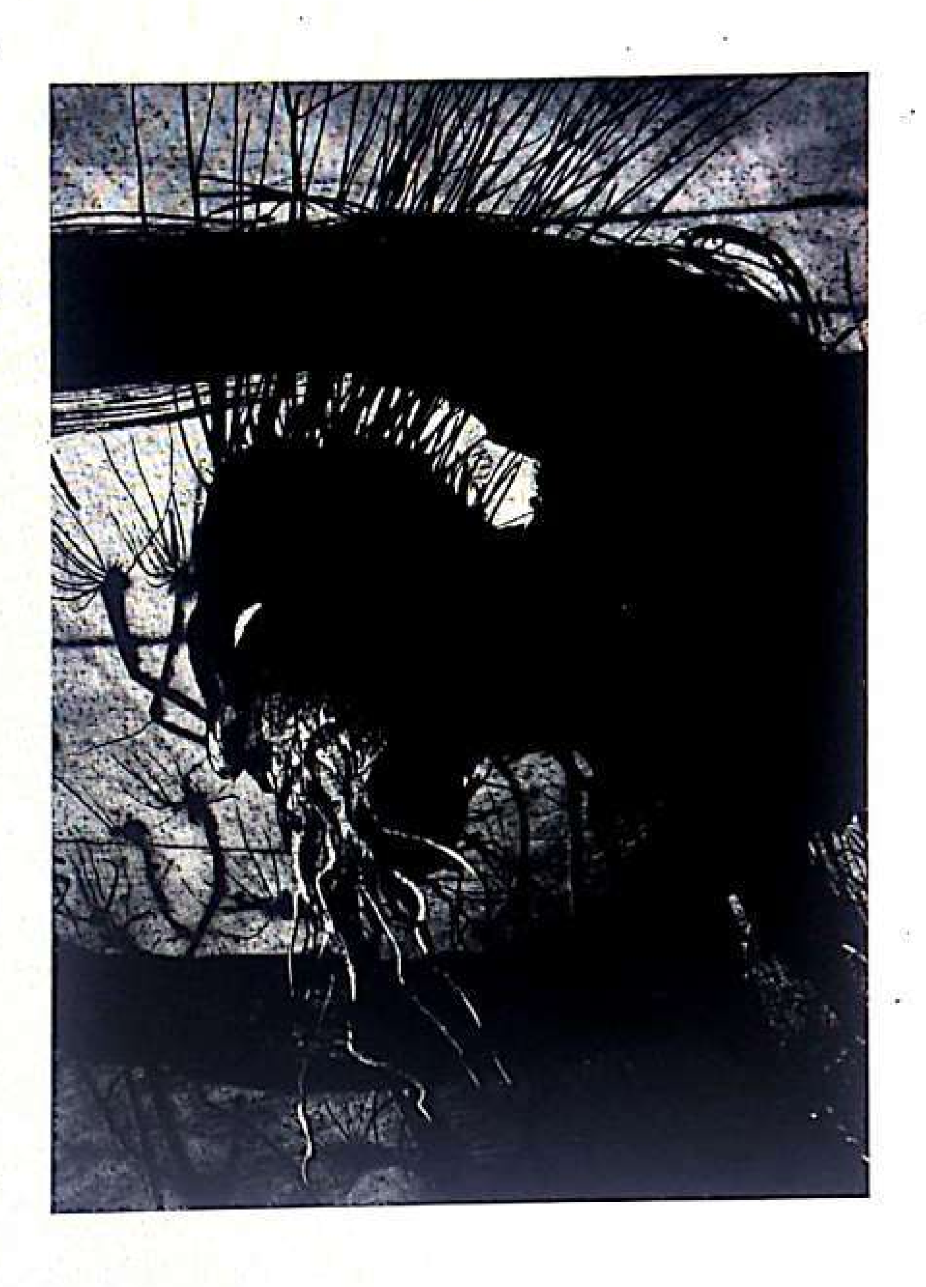
على شجرة الطَّقسوس.

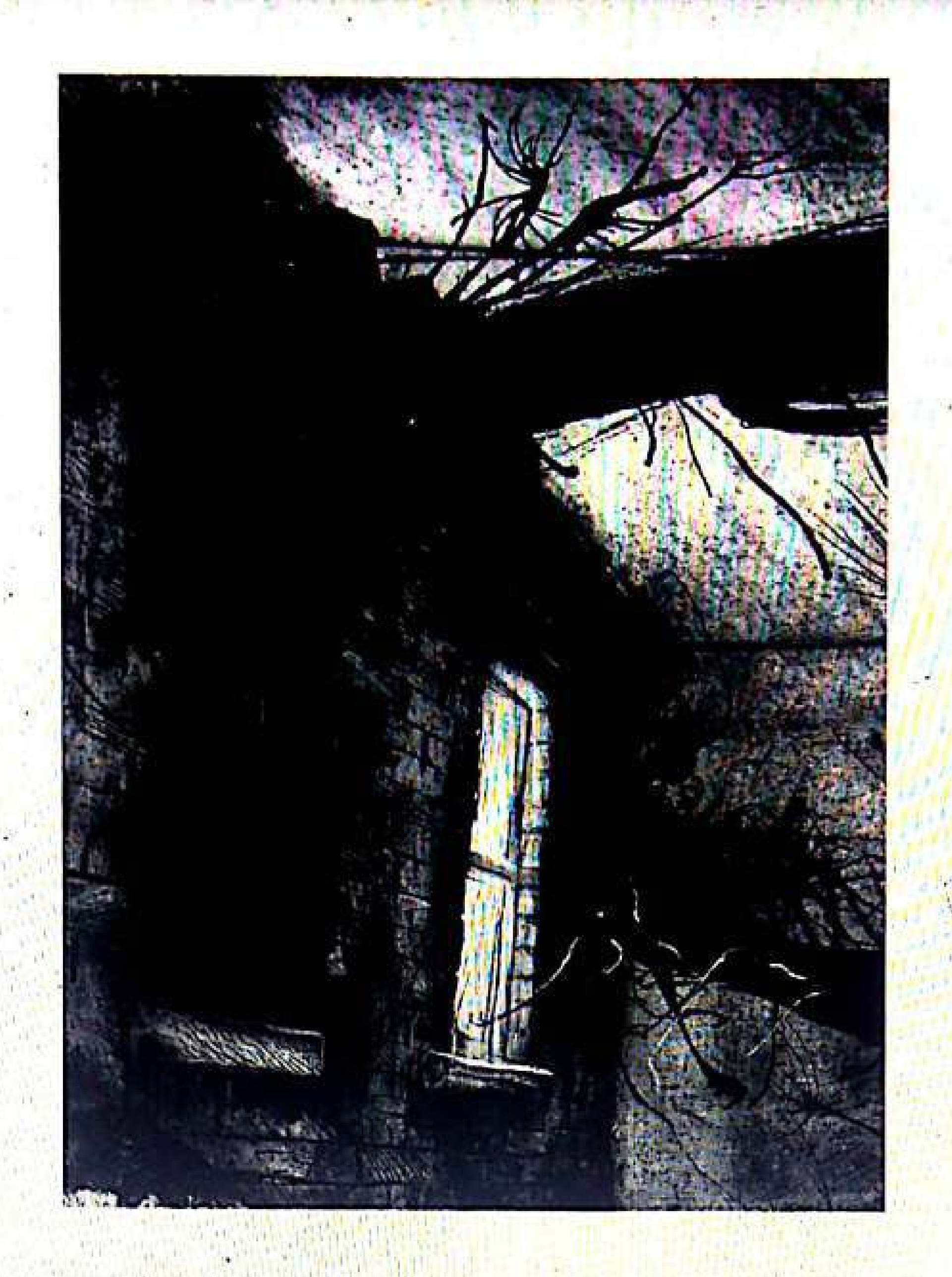
التي تقف الآن بثباتٍ في الحديقة الخلفيَّة.

وها هو ذا الوحش.

بينما يُشاهِد كونر، جمعَت فروع الشَّجرة العُليا أنفُسها مكوِّنةً وجهًا شنيعًا ضخمًا، وارتعشَت صانعةً فمًا وأنفًا، وحتى عينين بادلتاه النَّظر، والتوى بعض الفروع الأخرى حول بعضٍ من دون أن تكفَّ لحظةً عن الصَّرير أو الأنين، إلى أن كوَّنت ذراعين طويلتين وساقًا ثانيةً استقرَّت إلى جوار الأصليَّة، أمَّا بقيَّة الشَّجرة فجمعَت نفسها لتصنع عمودًا فقريًّا وجذعًا، والتحمَت الأوراق الرَّفيعة الشَّبيهة بالإبر مشكِّلةً جِلدًا كالفرو الأخضر تحرَّك وتنفَّس كأن تحته عضلاتٍ ورئتين.

كان الوحش يتجاوَز نافذة كونر ارتفاعًا، وإذ ضمَّ نفسه صارَ أعرض أيضًا وامتلأ جسمه صانعًا شكلًا قويًّا، شكلًا يبدو بشكلٍ ما صُلبًا، بشكلٍ ما قديرًا. طوال الوقت حدَّق الوحش إلى كونر الذي سمعَ الأنفاس العاصفة الصَّاخبة المنبعثة من فمه، وقد وضعَ يديه الهائلتين على جانبَي النَّافذة خافضًا رأسه، حتى ملأَت عيناه الضَّخمتان الإطار مركِّزتين نظرتهما على كونر، وتحت وزن الوحش أصدرَ منزل كونر أنينًا قصيرًا.





ثم تكلَّم الوحش.

قال: «*كونر أومالي*»، لتندفع دفقة عارمة من الأنفاس الدَّافئة المحمَّلة برائحةٍ عُضويَّة من نافذة كونر وتَنفُخ شعره إلى الوراء. خرجَ الصَّوت دمدمةً خفيضةً لكن مسموعة، له رجَّة أحسَّ بها كونر في صدره.

تابعَ الوحش: «*أتيتُ لأنال منك يا كونر أومالي*»، وضغطَ على المنزل لتَسقُط الصُّور المعلَّقة على حائط كونر، وتهوي أرضًا الكُتب والأجهزة الإلكترونيَّة ودُمية خرتيت محشوَّة قديمة.

في نفسه قال كونر إن هذا وحش، وحش حقيقي فعلي، موجود في عالم الواقع واليقظة، ليس في حُلمٍ بل هنا عند نافذته.

أتى لينال منه.

لكن كونر لم يفرّ.

الحقيقة أنه لم يجد نفسه خائفًا حتى.

كلُّ ما شعرَ به الآن، كلُّ ما شعرَ به منذ أفصحَ الوحش عن نفسه، كان خيبة أملٍ متناميةً.

لأن هذا ليس الوحش الذي توقَّعه.

وهكذا قال: «تعالَ ونل مني إذن».

- • -

رانَ صمتٌ غريب.

ثم سألَه الوحش: «*ماذا قلت؟*».

عقدَ كونر ذراعيه على صدره مجيبًا: «قلتُ تعالَ ونل مني إذن».

صمتَ الوحش لحظةً، ثم بهديرٍ مدوٍ انهالَ على المنزل بقبضتيه. انبعجَ سقف كونر تحت وطأة الضَّربات، وظهرَت شروخ ضخمة في الجدران، وملأَت الرّيح الغُرفة، وضجَّ الهواء بصياح الوحش الغاضب.

هزَّ كونر كتفيه قائلًا من دون أن يرفع صوته تقريبًا: «ازعق كما تشاء. لقد رأيتُ ما هو أسوأ».

تعالى هدير الوحش، وبذراعه اخترقَ النَّافذة محطِّمًا الزُّجاج والخشب والقرميد. قبضَت يد مشوَّهة ضخمة ملتفَّة بالغصون على كونر من خصره، لتلتقطه عن الأرض وتنتزعه من غُرفته إلى اللّيل بالخارج، عاليًا فوق الحديقة الخلفية، وترفعه أمام دائرة القمر بأصابع أطبقَت بقوَّةٍ على ضلوعه حتى إنه بالكاد استطاعَ التقاط أنفاسه. في فم الوحش المفتوح رأى كونر أسنانًا غير منتظمة من الخشب الصَّلب الغليظ، وأحسَّ بالأنفاس الدَّافئة تغمره.

ثم توقَّف الوحش ثانيةً.

- «*لستَ خائفًا حقًّا، أليس كذلك؟*».

قال كونر: «نعم، ليس منك على الأقل».

ضيَّق الوحش عينيه.

- «*قبل النّهاية ستخاف*».

وآخِرِ ما يَذكُره كونر هو زمجرة الفم المفتوح على وسعه ليأكله حيًّا.

الإفطار

نادى كونر وهو يَدخُل المطبخ: «ماما؟». كان يعرف أنه لن يجدها، لأنه لم يسمع بقبقة الماء في الغلّاية، وهو أول ما تفعله أمّه دومًا كلّ صباح، لكنه -في الآونة الأخيرة- وجدَ نفسه يُناديها باستمرارٍ حينما يَدخل هذه الغُرفة أو تلك في المنزل، فهو لا يُريد أن يُفزِعها، تحسّبًا لأن تكون قد غابَت في النّوم في مكانٍ لم تنوِ النّوم فيه.

لكنها ليست في المطبخ، أي إنها لا تزال في فِراشها على الأرجح، ومعنى هذا أن على كونر أن يعدّ إفطاره بنفسه، وهو ما اعتادَه منذ مُدّة. لا بأس، بل جيّد في الحقيقة، خاصّةً هذا الصّباح.

ذهبَ مسرعًا إلى سلّة المهملات ودسّ الكيس البلاستيكي الذي يحمله قُرب القعر، ثم غطّاه بالقمامة الأخرى كي لا يظهر.

- «طيّب». قالها للا أحد، ووقفَ يلتقط أنفاسه لحظةً، ثم أومأ برأسه لنفسه قائلًا: «الإفطار».

خُبز في المحمصة، حبوب في وعاء، عصير في كوب، وأصبحَت الوجبة جاهزةً، فجلسَ إلى طاولة المطبخ الصّغيرة ليأكل. لأمّه أنواعها الخاصّة من الخُبز والحبوب، تشتريها من متجرٍ للأطعمة الصحّيّة في البلدة، ولحُسن حظّ كونر أنه ليس مضطرًّا للأكل منها، فمذاقها بائس كمنظرها.

رفعَ عينيه إلى السّاعة. خمس وعشرون دقيقةً حتى موعد

الخروج. كان قد ارتدى زيّه المدرسي بالفعل، وجهّز حقيبة الظَّهر ووضعَها لتنتظره عند الباب الأمامي. كلُّ هذا فعلَه لنفسه.

جلسَ موليًا ظَهره لنافذة المطبخ التي تعلو الحوض، وتطلُّ على الحديقة الخلفيَّة الصَّغيرة ومن ورائها السِّكَّة الحديد عبورًا إلى الكنيسة بمقبرتها.

وشجرة الطَّقسوس.

أخذَ كونر ملعقةً أخرى من الحبوب، ولم يتردَّد في المنزل بأكمله إلَّا صوت مضغه.

كان حُلمًا، فماذا عساه يكون غير هذا؟

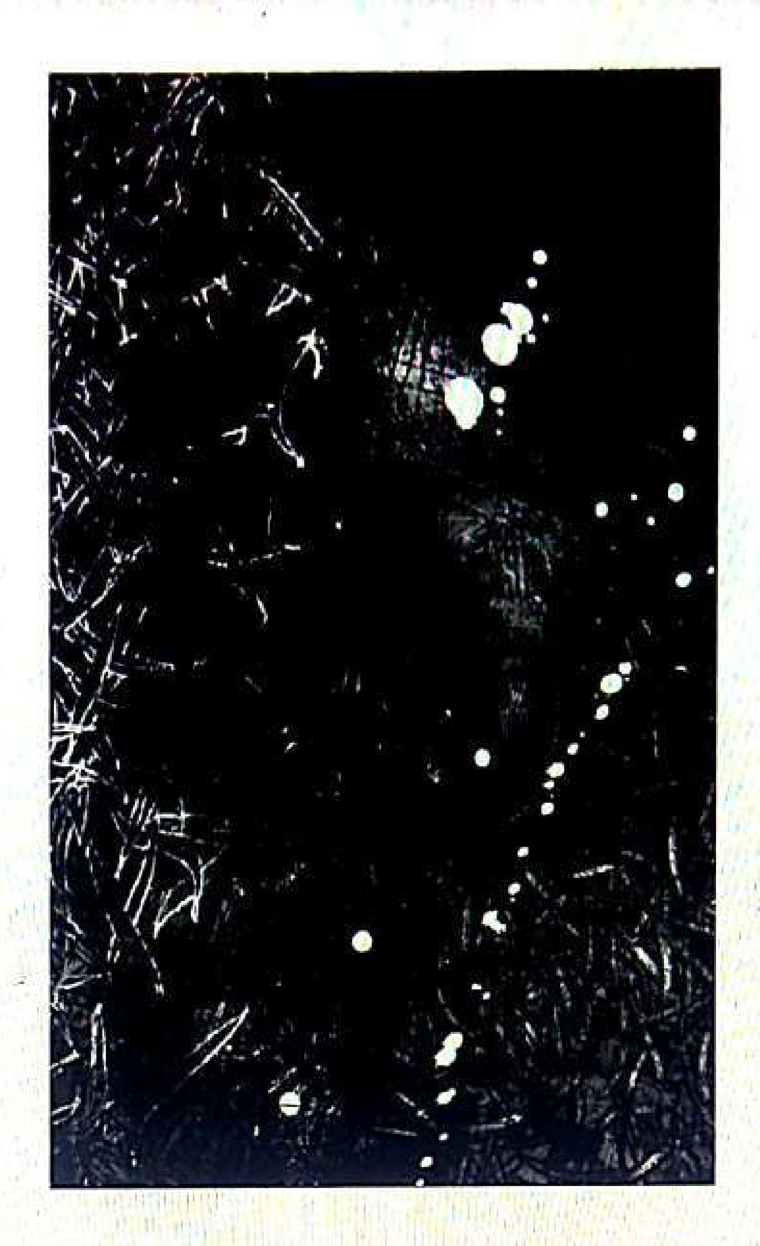
أول ما فعله عندما فتحَ عينيه هذا الصَّباح، أنه نظرَ إلى نافذته.

وجدَها في مكانها بالطَّبع، لا تلف على الإطلاق، لا فجوة واسعة تُفضي إلى الحديقة الخلفيَّة. بالطَّبع كان حُلمًا، فلا أحد سوى طفل يُصدِّق أن شجرةً -حقًّا، شجرة!- نزلَت من فوق الرَّبوة وهاجمَت المنزل.

ضحكَ قليلًا من الفكرة، من سخافتها الجمَّة، وخرجَ من فِراشه.

ليسمع صوت شيءٍ ينسحِق تحت قدميه.

كانت أرضيَّة غُرفة نومه كلُّها مغطَّاةً بأوراق شجر الطَّقسوس القصيرة المدببَّة.



وضعَ ملعقةً أخرى من الحبوب في فمه، وبكلِّ تأكيدٍ لم ينظر إلى سلَّة المهملات، حيث دسَّ الكيس البلاستيكي المليء بأوراق الشَّجر التي كنسَها هذا الصَّباح بمجرَّد استيقاظه من النَّوم.

اللَّيلة الماضية كانت شديدة الرِّيح. واضحٌ إذن أنها ذرَت الأوراق إلى داخل غُرفته من النَّافذة المفتوحة.

واضحٌ.

فرِغَ من الخُبز المحمَّص والحبوب، وشربَ ما تبقَّى من العصير، ثمَّ شطفَ الأطباق ووضعَها في الغسَّالة. ما زالَت أمامه عشرون دقيقةً قبل أن يَخرُج، فقرَّر أن يُفرغ سلَّة المهملات برُمَّتها، فهكذا المخاطرة

أصغر، وحملَ الكيس إلى الصُّندوق الموضوع أمام المنزل. وبما أنه ذاهب إلى هناك على كلِّ حال، فقد جمعَ مواد إعادة التَّدوير ووضعَها في الخارج أيضًا، ثم إنه شغَّل غسَّالة الملابس على بعض الملاءات، لكي يَنشرها على الحبل بعد عودته من المدرسة.

عادَ إلى المطبخ وألقى نظرةً على السَّاعة. ما زالَ أمامه عشر دقائق. وما زالَ لا يرى أثرًا لـ...

- «كونر؟».

سمعَ الصَّوت يُناديه مَن أعلى السَّلالم، فأطلقَ زفيرًا طويلًا لم يكن يعي أنه يكتمه.

- • -

سألَته أمُّه مستندةً إلى إطار باب المطبخ: «هل أفطرت؟».

أجابَ كونر ممسكًا حقيبة ظَهره: «نعم يا ماما».

- «متأكِّد؟».

- «نعم يا ماما».

رمقَته بشكّ، فدوَّر كونر عينيه ضيقًا، وقال: «خُبز محمَّص وحبوب وعصير. وضعتُ الأطباق في الغسَّالة».

- «وأخرجت القمامة». قالتها أمُّه بهدوءٍ متطلِّعةً إلى المطبخ النَّظيف المرتَّب.

- «شغّلتُ غسّالة الملابس أيضًا».

قالت: «أنت صبي طيِّب»، ولكن على الرغم من ابتسامتها سمعَ في نبرتها الحُزن أيضًا. «آسفة لأنني لم أكن مستيقظةً».

- «لا عليكِ».

- «إنها تلك الدّورة الجديدة من...».

- «لا عليكِ».

صمتَت، لكنها ظلّت تبتسم له. لم تربط وشاحها حول رأسها بعدُ هذا الصّباح، فبدَت الفروة المكشوفة واهنةً للغاية هشّةً للغاية في ضوء النّهار، كأنها لطفلةٍ رضيعة، وجعلَ المنظر بطن كونر يؤلِمه.

سألَته: «ما هذا الذي سمعته ليلة أمس؟».

تجمّد كونر في مكانه، وقال: «متى؟».

قالت جارّةً قدميها إلى الغلّاية

لتُشغّلها: «في وقتٍ ما بعد منتصف اللّيل حتمًا. حسبتُني أحلمُ، لكنني كنتُ لأقسمً أنني سمعتُ صوتك».

قال بلهجةٍ قاطعة: «كنتُ أتكلّمُ في نومي غالبًا».

ردّدت متثائبةً: «غالبًا»، وتناولَت قدحًا من فوق الرّف المعلّق عند الثّلاجة، وقالت باستهانة: «نسيتُ أن أخبرك؛ جدّتك قادمة غدًا».

تهدّلت كتفا كونر، وقال: «آو! ماما!».

- «أعرفُ، لكن لا ينبغي أن تعدَّ إفطارك لنفسك كلَّ صباح».

- «كلَّ صباح؟ كم ستبقى هنا؟».

- «كونر...».

- «لسنا نحتاج إليها هنا...».

- «أنت تعرف ما يَحدُث لي عند هذه المرحلة من العلاج يا كونر...».

- «نحن بخيرٍ حتى الآن...».

قاطعَته بحدَّة: «كونر»، وخرجَت منها الكلمة خشنةً لدرجة فاجأتهما معًا. سادَ صمتٌ طويل، قبل أن تُعاوِد أمُّه الابتسام وقد بدا عليها التَّعب شديدًا جدًّا.

قالت: «سأحاولُ أن أجعل إقامتها قصيرةً قدر الإمكان، اتَّفقنا؟ أعلمُ أنك لا تحبُّ التَّخلِّي عن غُرفتك، وأنا آسفة. لم أكن لأطلب منها أن تأتي إن لم أكن محتاجةً إليها، مفهوم؟».

يضطرُّ كونر للنَّوم على الأريكة كلَّما أتَت جدَّته لتُقيم معهما، غير أن ذلك ليس سبب انزعاجه، بل طريقة كلامها معه هي

التي لا تُعجبه، كأنه موظَّف تحت التَّقيم، وهو التَّقيم الذي

سينتهي برسوبه. ثم إنهما استطاعا تدبُّر أمورهما حتى الآن، هما الاثنان وحدهما، مهما أثقلَ عليها العلاج وأتعبَها، فهذا هو الثَّمن الذي

تدفعه من أجل أن تتحسَّن. لماذا إذن...؟

كأنما قرأَت أفكاره، قالت أمُّه: «ليلتان فقط. لا تقلق، اتَّفقنا؟».

من دون أن يقول شيئًا، داعبَ سحَّاب حقيبته محاولًا التَّفكير في أشياءَ أخرى، ثم تذكَّر كيس ورق الشَّجر الذي دسَّه في سلَّة المهملات.

قد لا يكون مكوث جدَّته في غُرفته أسوأ ما يُمكن أن يَحدُث.

مدَّت أمُّه يدها إلى الغلَّاية التي انطفأَت، وقالت: «ها هي ذي الابتسامة التي أحبُّها»، ثم أضافَت برُعبٍ زائف: «ستجلب لي بعض باروكاتها القديمة إن كنت تُصدِّق هذا»، وحكَّت رأسها العاري بيدها الخالية متبعةً: «سأصبحُ شَبَهَ زومبي مارجريت ثاتشر».

قال كونر رامقًا السَّاعة: «سأتأخَّر».

دنَت منه بخطوات مهتزَّة لتُقبِّله على جبهته قائلةً: «ليكن يا حبيب قلبي. أنت صبيٌّ طيِّب. أتمنَّى لو أنك لم تضطرَّ لأن تكون بهذه الطِّيبة».

بينما خرجَ ليذهب إلى المدرسة، رآها تأخذ شايها إلى نافذة المطبخ فوق الحوض، ولمَّا فتحَ الباب الأمامي ليُغادِر سمعَها تقول: «ها هي ذي شجرة الطَّقسوس القديمة»، كأنها تُكلِّم نفسها.

المدرسة

أحسَّ بمذاق الدَّم في فمه وهو ينهض. عندما ارتطمَ بالأرض عضَّ شفته من الدَّاخل، وهو ما ركَّز عليه الآن إذ قامَ، على النَّكهة المعدنيَّة الغريبة التي تجعلك تُريد أن تَبصُقها في الحال، كأنك أكلت شيئًا لا يمتُّ للطَّعام بصِلة.

بدلًا من ذلك ابتلعَ الدَّم، لأن الكلام كان ليعجز عن التَّعبير عن ابتهاج هاري وصاحبيْه لو عرفوا أن كونر ينزف. سمعَ أنتون وسُلي يضحكان من ورائه، وقد أدركَ تحديدًا النَّظرة المرتسمة على وجه هاري مع أنه لا يراها، وعلى الأرجح كان بإمكانه أيضًا تخمين ما سيقوله هاري بصوته الهادئ المستمتِع إياه، الذي يبدو كأنه يُحاكي به كلَّ شخصٍ بالغ لا يرغب المرءُ في لقائه أبدًا.

قال هاري: «احترس من هذه الدَّرجات وإلَّا سقطت».

نعم، كما خمَّن تقريبًا.

لم يكن الأمر هكذا دومًا.

هاري هو الطِّفل الأعجوبة ذو الشَّعر الأشقر، حيوان المعلِّمين الأليف في كلِّ عامٍ دراسي، أول تلميذٍ يرفع يده وأسرع لاعبٍ في ملعب الكُرة، ولكن على الرغم من كلِّ هذا كان مجرَّد صبيٍّ آخر في صفِّ كونر. لم يكونا صديقيْن فعلًا (فليس لهاري أصدقاء، بل أتباع فقط، وأنتون وسُلي لا يفعلان إلَّا الوقوف خلفه والضَّحك على كلِّ ما

يقوله)، لكنهما لم يكونا عدوَّيْن كذلك، ولربما اندهشَ كونر بعض الشَّيء لو وجدَ هاري يعرف اسمه.

على أن شيئًا تغيَّر في وقتٍ ما من العام الماضي، إذ بدأ هاري يلحظ كونر، يلفت انتباهه ويَنظُرُ إليه باستمتاعٍ فاتر.

لم يقع هذا التَّغيير لمَّا بدأ كلُّ شيءٍ مع أمّ كونر، لا، بل لاحقًا، عندما بدأ كونر يرى الكابوس، الكابوس الحقيقي وليس تلك الشَّجرة السَّخيفة، كابوس الصُّراخ والسُّقوط، ذلك الذي يستحيل أن يحكي عنه لأيِّ كائنٍ حيٍ. عندما بدأ يرى ذلك الكابوس لاحظَه هاري، كأن علامةً سرِّيَّةً وُضعَت على كونر ولا يراها إلَّا هو.

علامةً اجتذبَت هاري إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس.

في اليوم الأول من العام الدِّراسي الجديد، عرقلَ هاري كونر وهو يَدخل فناء المدرسة طارحًا إياه على الرَّصيف.

وهكذا بدأ الأمر.

وهكذا استمرَّ.

- • -

ظلَّ كونر موليًا أنتون وسُلي ظَهره وهما يضحكان، وحرَّك لسانه على شفته من الدَّاخل ليرى درجة سوء العضَّة. ليست فظيعةً. سيعيش إذا استطاعَ الوصول إلى الفصل من دون حدوث شيءٍ آخَر.

لكن شيئًا آخَر حدثَ.

- «دعوه وشأنه!». سمعَها كونر، وأجفلَه الصَّوت.

التفتَ ليرى ليلي آندروز تدسُّ وجهها الغاضب في وجه هاري، وهو ما جعلَ أنتون وسُلي يضحكان بمزيدٍ من الصَّخب.

قال أنتون: «كلبتك البودل أتَت لتُنقذك».

ردَّت ليلي مغتاظةً: «لأجعلَه قتالًا عادلًا فحسب». كانت خصلات شعرها الشَّبيهة بالأسلاك تتقافز في كلِّ اتِّجاهٍ مثل الكلب البودل حقًّا، وهو ما يَحدُث مهما ربطَتها بإحكام.

متجاهلًا ليلي، قال هاري بهدوء: «إنك تنزف يا أومالي».

بعد فوات الأوان رفعَ كونر يده إلى فمه ليمسح قطرةً من الدَّم خرجَت من الرُّكن.

قال سُلي بتبجُّح: «عليه أن يجعل أمَّه الصَّلعاء تُقبِّل الجرح ليخفَّ!».

انقبضَت معدة كونر مستحيلةً إلى كُرةٍ من النَّار، مثل شمسٍ صغيرة تحرقه من الدَّاخل، ولكن قبل صدور ردَّة فعلٍ منه تحرَّكت ليلي، وبصرخة ثائرة دفعَت سُلي المندهش نحو سياج الشُّجيرات، لينقلب ويقع على الجانب الآخَر. ومن منتصف الطَّريق عبر السَّاحة أتى الصَّوت المنذر بالويل: «ليلي آندروز!».

تجمَّدوا في أماكنهم، وحتى سُلي توقَّف وهو ينهض. كانت المِس كوان، رئيسة المعلِّمين لهذا العام، تندفع نحوهم وقد وسمَ عبوسُ

مرعب وجهها كأنه ندبة.

قالت ليلي مدافعةً عن نفسها بالفعل: «هُم الذين بدأوا يا مِس».

ردَّت المِس كوان: «لا أريدُ أن أسمع حُججًا. أأنت بخير يا سُليڤان؟».

رشقَ سُلي ليلي بنظرةٍ سريعة، ثم لاحَت نظرة ألمٍ على وجهه وهو يُجيب: «لا أدري يا مِس. قد أضطرُّ للعودة إلى البيت».

- «لا تُحاول استغلال الموقف يا سُليڤان. إلى مكتبي يا ليليان».

- «لكن يا مِس، لقد كانوا...».

- «الآن يا ليليان».

- « كانوا يسخرون من أمِّ كونر!».

جعلَ قولها الجميع يتجمَّدون من جديد، وتأجَّجت نيران الشَّمس المشتعلة في معدة كونر استعدادًا لالتهامه حيًّا.

(-وفي عقله شعرَ بومضةٍ من الكابوس، من عُواء الرِّيح، من السَّواد الحارق-).

ثم إنه نحَّاها بعيدًا.

بملامح جادَّة كعظةٍ في الكنيسة، سألَته المِس كوان: «أهذا صحيح يا كونر؟».

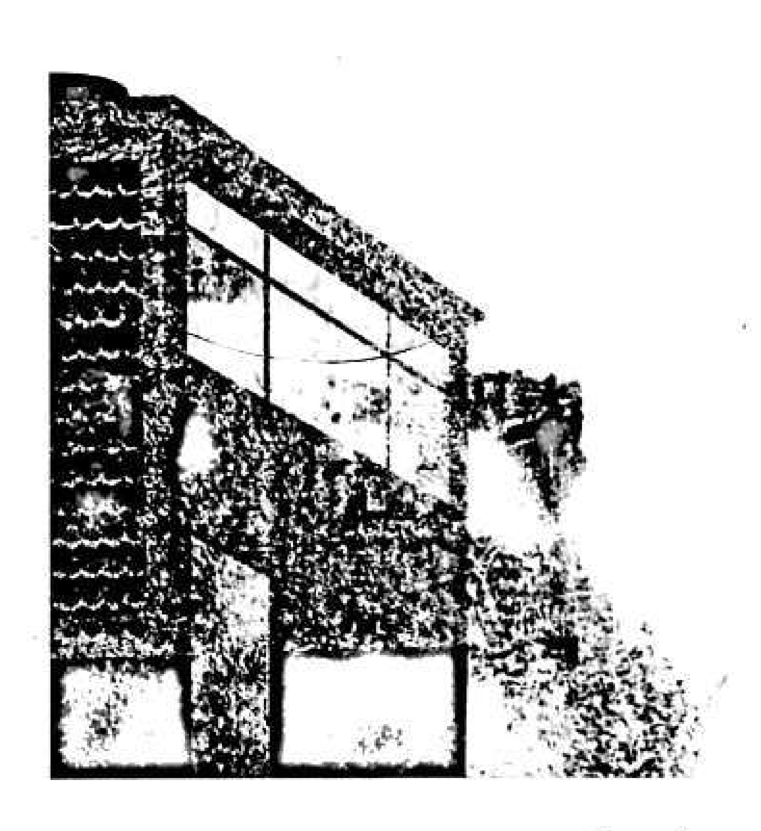
جعلَه الدَّم على لسانه يرغب في القيء وهو يتطلَّع إلى هاري

وصاحبيه. بدا القلق على

أنتون وسُلي، إلَّا أن هاري

اكتفى بمبادلته النَّظر

برصانةٍ وهدوء، كأنه يَشعُر بفضولٍ حقيقي صادق إزاء ما سيقوله كونر.



أجابَ كونر مبتلعًا الدَّم: «لا يا مِس، غير صحيح. لقد سقطتُ فقط. كانوا يُساعِدونني على النُّهوض».

تحوَّل التَّعبير على وجه ليلي من فوره إلى دهشةٍ جريحة، وفغرَت فاها لكنها لم تقل شيئًا.

قالت المِس كوان: «اذهبوا إلى فصولكم، إلَّا أنتِ يا ليليان».

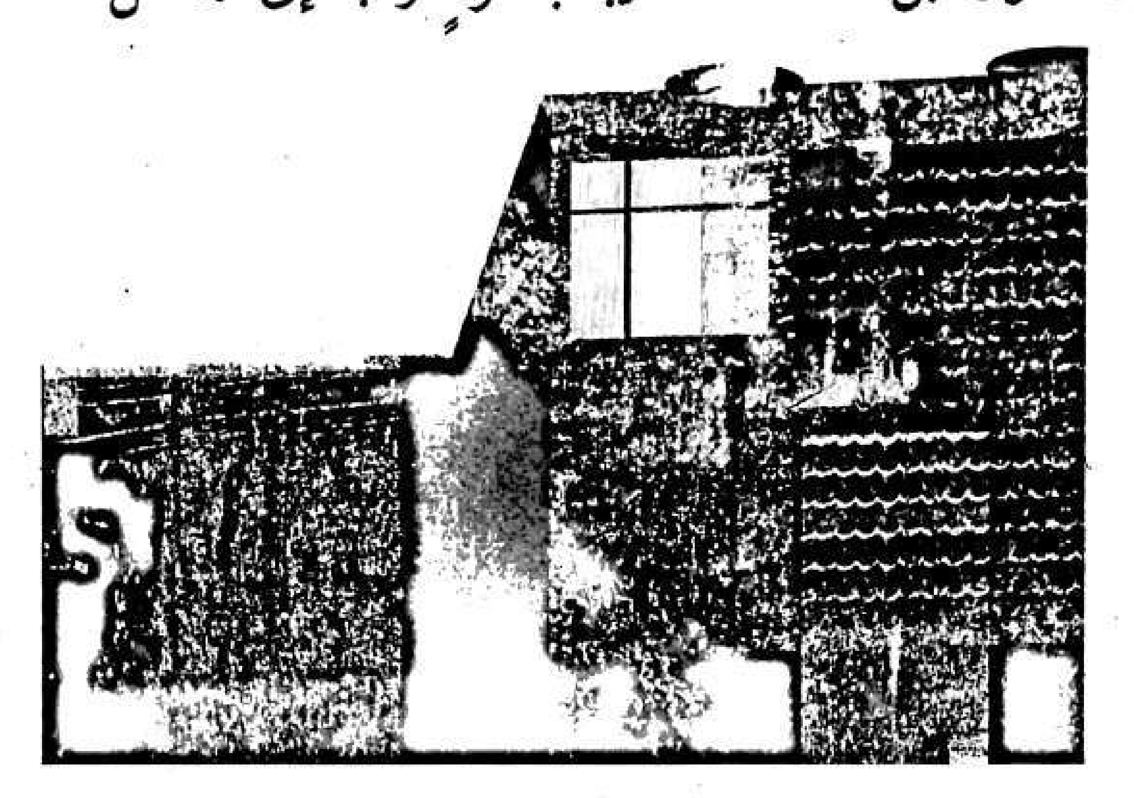
ظلَّت ليلي محملقةً إلى كونر فيما جذبَتها المِس كوان إلى مكتبها،

لكن كونر أشاحَ بوجهه عنها.

ليجد هاري يمدُّ له يده بحقيبته.

- «أحسنت يا أومالي».

لم يردَّ كونر، بل أخذَ منه الحقيبة بخشونةٍ واتَّجه إلى الدَّاخل.



كتابة الحياة

القصص. جالَت الكلمة ببال كونر وهو يمشي عائدًا إلى البيت.

انتهَت المدرسة واستطاعَ الهرب. قضى بقيَّة اليوم في تحاشي هاري والاثنين الآخرين، ولو أنهم غالبًا أعقل من أن يُخاطِروا بالتَّسبُّب في «حادثة» أخرى له وقد كادَت المِس كوان تضبطهم منذ مُدَّة قصيرة للغاية. وكذا تحاشى ليلي التي عادَت إلى الفصل بعينين محمرَّتَيْن منتفختيْن ونظرةٍ عابسة شديدة الجمود. عندما دقَّ جرس الانصراف أسرعَ كونر يُغادِر شاعرًا بعبء المدرسة وهاري وليلي يَسقُط عن كتفيه إذ وضعَ شارعًا تلو الآخَر بينه وبين كلِّ هذا.

مرَّةً أخرى فكَّر: *القصص.*

- «قصصكم». هكذا قالت المسز مارل في حصَّة اللُّغة الإنجليزيَّة. «لا تحسبوا أنكم لم تعيشوا بما فيه الكفاية لتكون عندكم قصص تحكونها».

سمَّتها «كتابة الحياة»، وكلَّفتهم على سبيل الواجب المنزلي بالكتابة عن أنفُسهم؛ عن أشجار عائلاتهم، وأين يعيشون، ورحلات العُطلات،

والذِّكريات السَّعيدة.

أشياء مهمَّة حدثَت.

عدلَ كونر حقيبته على ظَهره. بإمكانه التَّفكير في بضعة أشياء مهمَّة حدثَت، وإن كان لا يرغب في الكتابة عن شيءٍ منها. رحيل أبيه. القطُّ الذي خرجَ ذات يومٍ ولم يرجع.

ذلك الأصيل حين قالت أمُّه إنها تُريده في «محادثة صغيرة».

قطَّب وجهه وواصلَ المشي.

لكنه، من ناحيةٍ أخرى، يَذكُر أيضًا اليوم السَّابق لذلك اليوم، عندما أخذَته أمُّه إلى مطعمه الهندي المفضَّل وتركَته يَطلُب كلَّ ما يشاء من الڤيندالو (1) ، ثم ضحكَت وقالت: «ولِمَ لا؟»، وطلبَت منه أطباقًا لنفسها بدورها. قبل عودتهما إلى السيَّارة كانا قد بدآ يُخرِجان الرِّيح بالفعل، وفي الطَّريق إلى البيت استطاعا الكلام بالكاد من قوَّة الضِّحك والرِّيح.

ابتسمَ كونر لمجرَّد التَّفكير في ذلك، لأنهما لم يكونا في الطَّريق إلى البيت حقًّا، بل في رحلةٍ مفاجئة إلى السينما، على الرغم من أنها عشيَّة يومٍ دراسي، لحضور فيلم شاهدَه كونر أربع مرَّاتٍ من قبل ويعلم أنَّ أمَّه ملَّته حدَّ الموت، ومع ذلك ها هما ذان يحضران العرض حتى النِّهاية وهما ما زالا يُقهقِهان لنفسيهما ويأكلان ويشربان دلاءً كاملةً من الفشار والكولا.

ليس كونر غبيًّا، فحين دارَت بينهما «المحادثة الصَّغيرة» في اليوم التَّالي أدركَ ما فعلَته أمُّه ولِمَ فعلَته، وإن لم يخصم هذا من متعة اللَّيلة

السَّابقة. كم كان ضحكهما قويًا، وكم بدا أي شيءٍ ممكنًا، أيُّ شيءٍ طيِّب يُمكن أن يَحدُث لهما ساعتها وما كانا ليندهشا لحظةً.

إلَّا أنه لن يكتب عن *ذلك* أيضًا.

- «مهلًا!». جعلَه الصَّوت المنادي من خلفه يئنُّ. «مهلًا، كونر، انتظر!».

ليلي.

- «مهلًا!»، قالتها لاحقةً به وزارعةً نفسها في طريقه مباشرةً، فلم يكن أمامه إلَّا أن يتوقَّف أو يصطدم بها. كانت تلهث، وإن احتفظَ وجهها بغضبه وهي تقول: «لماذا فعلت ما فعلته اليوم؟».

قال كونر متجاوزًا إياها: «دعيني وشأني».

تبعَته ليلي قائلةً بإصرار: «لِمَ لم تُخبِر المسز كوان بما حدثَ حقًّا؟ لِمَ تركتني أقع في مشكلة؟».

- «لِمَ دسستِ أنفكِ في الأمر وهو ليس من شأنكِ؟».

- «كنتُ أحاولُ مساعدتك!».

- «لستُ محتاجًا إلى مساعدتكِ. كنتُ بخيرٍ وحدي».

- «غير صحيح! كنت تنزف».

كرَّر كونر بحدَّة: «ليس هذا من شأنكِ!»، وأسرعَ في مشيه.

قالت ليلي شاكيةً: «لقد عُوقبتُ بالحبس طوال الأسبوع! وأرسلوا

معي إشعارًا إلى والديَّ!».

- «ليست مشكلتي».

- «لكنها غلطتك».

توقَّف كونر فجأةً والتفتَ إليها وقد بدا عليه الغضب لدرجةٍ جعلَتها تتراجَع جافلةً كأنه أخافَها.

- «إنها غلطتكِ أنتِ، كلُّ شيءٍ غلطتكِ».

قالها وعادَ يندفع قاطعًا الرَّصيف، لتُناديه ليلي: «كنّا صديقين».

ردَّ من دون أن يلتفت: «كنّا».

إنه يعرف ليلي منذ الأزل، أو منذ أبعد نُقطةٍ ترجع إليها ذاكرته، فلا فرق بين هذا وذاك حقًّا.

والدتاهما صديقتان من قبلِ مولد كونر وليلي، وليلي بمثابة أخت تعيش في منزل آخَر، خاصةً عندما تذهب هذه الأمّ أو تلك لمجالسة أحدهما. على أنّه هو وليلي صديقان فقط، ليس بينهما شيء من الأمور الرومنسيَّة التي يُضايقونهما بها في المدرسة أحيانًا. بشكلٍ ما، من الصَّعب على كونر مجرَّد النَّظر إلى ليلي باعتبارها فتاةً، أو باعتبارها مثل الفتيات الأخريات في المدرسة على الأقل، فكيف يُمكنك ذلك وقد لعبَ كلاكما في سنِّ الخامسة دور خروفٍ في مشهد مغارة ميلاد المسيح؟ وأنت تعرف كَم تنخر أنفها؟ وهي تعرف كَم من الوقت ظللتَ تحتاج إلى إشعال ضوءٍ ليلي وأنت نائم بعد رحيل أبيك من المنزل؟

كانت مجرَّد صداقةٍ تقليديَّة تمامًا.

ثم إنه خاضَ «المحادثة الصَّغيرة» مع أمِّه، وما جرى بعدها كان بسيطًا حقًّا، ومباغتًا.

لم يكن أحد يعلم.

ثم علمَت أمُّ ليلي بالطَّبع.

ثم علمَت ليلي.

وعندئذٍ علمَ الجميع، الجميع، وهو ما غيَّر العالم كلَّه في يومٍ واحد.

وكونر لن يُسامِحها في هذا أبدًا.

شارعٌ بعد شارع، وها هو ذا منزله، صغير ولكن ناءٍ. إنه الشَّيء الوحيد الذي أصرَّت عليه أمُّه خلال الطَّلاق، أن يكون لهما خالصًا وألَّا يضطراًّ للانتقال بعد رحيل أبيه إلى أمريكا مع زوجته الجديدة ستفاني. كان ذلك قبل ستَّة أعوام، وقت طويل جدًّا حتى إن كونر لا يتذكَّر أحيانًا كيف كانت الحياة في وجود أبٍ في البيت.

ولو أن نسيانه لا يعني عدم استمراره في التَّفكير في الأمر حتى الآن.

تجاوزَ منزله ببصره إلى الرَّبوة من ورائه، وبُرج الكنيسة الذي يرتفع واخزًا السَّماء الغائمة.

وشجرة الطَّقسوس الجاثمة فوق المقبرة كعملاقٍ نائم.

أجبرَ كونر نفسه على مواصلة التَّحديق إليها، ليجعل نفسه يرى أنها

مجرَّد شجرة، شجرة كأيَّة شجرةٍ أخرى، كأيِّ من الأشجار المصطفَّة عند خطِّ السِّكَّة الحديد.

شجرة، هذا كلُّ شيء، ليست إلَّا هذا، شجرة.

شجرة رفعَت -بينما يُشاهِد- وجهها الهائل لتَنظُر إليه في ضوء الشَّمس وقد مدَّت ذراعيها وقالت بصوتها: كونر...

تراجعَ بسرعةٍ كادَت تُسقِطه في الشَّارع، لولا أنه لحقَ نفسه بالإمساك بغطاء محرِّك سيَّارَة مركونة.

ولمَّا عادَ يرفع نظره وجدَها مجرَّد شجرةٍ من جديد.

---

(1) الڤيندالو: طبق أفخاذ دجاج شهير من المطبخ الهندي، غني بالتَّوابل الحارَّة. (المُترجم).

ثلاث قصص

استلقى ليلتها في فِراشه بيقظةٍ تامَّة، يُراقِب السَّاعة الموضوعة على المنضدة المجاورة للفِراش.

مرَّ المساء ببُطءٍ يفوق الخيال. أتعبَ طهو اللازانيا المجمَّدة أمَّه للغاية، حتى إنها غابَت في النَّوم بعد خمس دقائق فقط من بدء «إيست إندرز»، ومع أن كونر يكره المسلسل فقد حرِصَ على تسجيل الحلقة من أجلها، ثم وضعَ لحافًا خفيفًا فوقها وذهبَ يغسل الأطباق.

رنَّ هاتف أمِّه مرَّةً وإن لم يوقِظها، ورأى كونر أن أمَّ ليلي هي المتَّصلة، فتركَ المكالمة تُحوَّل إلى البريد الصَّوتي.

أدَّى واجبه المدرسي جالسًا إلى طاولة المطبخ، لكنه توقَّف قبل وصوله إلى واجب كتابة الحياة الذي كلَّفتهم به المسز مارل، ثم عبثَ على الإنترنت في غُرفته فترةً، قبل أن يغسل أسنانه ويأخذ نفسه إلى الفِراش. كان قد أطفأَ الضَّوء لتوِّه عندما أتَت أمُّه معتذرةً بشدَّة - ومترنِّحةً بشدَّة- لتعطيه قُبلة قبل النَّوم.

وبعد دقائق قليلة سمعَها تتقيَّأ في الحمَّام.

ناداها من فِراشه: «هل تحتاجين إلى مساعدة؟».

ردَّت بوهن: «لا يا حبيب قلبي. لقد اعتدتُ هذا نوعًا».

تلك هي المسألة. هو أيضًا اعتادَ هذا. لطالما كان اليوم الثَّاني والثَّالث بعد جلسة العلاج هما الأسوأ، دائمًا تتعب خلالهما وتتقيَّأ أكثر من

أيِّ وقتٍ آخَر، حتى كادَ الأمر يُصبح عاديًّا.

بعد قليلٍ توقَّف التَّقيُّؤ، وسمِعَ كونر تكَّة ضوء الحمَّام وباب غُرفتها يُغلَق. كانَ ذلك منذ ساعتين، ومن بعدها تمدَّد مستيقظًا، ينتظر.

ولكن ينتظر ماذا؟

قالت السَّاعة المجاورة لفراشه إنها ١٢:٠٥، ثم ١٢:٠٦. رمقَ كونر نافذة غُرفته المغلقة بإحكامٍ على الرغم من أن اللَّيل لا يزال دافئًا. ثم أشارَت السَّاعة إلى ١٢:٠٧.

نهضَ وذهبَ إلى النَّافذة ليُلقي نظرةً بالخارج.

ووجدَ الوحش واقفًا في حديقته، يُبادِله النَّظر.

بصوتٍ واضحٍ كأن لا نافذة بينهما قال الوحش: *افتح. أريدُ أن أتكلَّم معك.*

ردَّ كونر محافظًا على انخفاض نبرته: «نعم، أكيد، لأن هذا هو ما يُريده الوحوش دومًا، أن يتكلَّموا».

في منظرٍ شنيع ابتسمَ الوحش، وقال: *إن كان عليَّ الدُّخول عنوةً فيسرُّني أن أفعلَ هذا.* ورفعَ قبضةً خشبيَّةً ملأى بالعُقد توطئةً لأن يهدم بها جِدار غُرفة نوم كونر.

قال كونر: «لا! لا أريدك أن توقِظ ماما».

قال الوحش: *تعالَ إلى الخارج إذن*، وحتى وهو داخل غُرفته

أفعمَت

أنف كونر روائح التُّربة والخشب والنُّسغ الرَّطبة.

- «ماذا تُريد مني؟».

قرَّب الوحش وجهه من النَّافذة بشدَّة قائلًا: *ليست مسألة ما أريده أنا منك يا كونر أومالي، بل ما تُريده أنتَ مني أنا.*

- «لا أريدُ منك شيئًا».

قال الوحش: *ليس بعدُ، لكنك ستُريد.*

- «إنه مجرَّد حُلم». قالها كونر لنفسه وهو واقفٌ في الحديقة الخلفيَّة، يَنظُر إلى الوحش المحفوف بالظِّلال تحت القمر في سماء اللَّيل.

طوى ذراعيه على بدنه بإحكام، ليس لأن الطَّقس بارد، بل لأنه لم يستطِع أن يُصدِّق حقًّا أنه نزلَ السَّلالم على أطراف أصابعه وفتحَ الباب الخلفيَّ وخرجَ.

الغريب أن كونر ظلَّ محتفظًا بهدوئه ، فهذا الكابوس -لأنه بالتَّأكيد كابوس، بالطَّبع كذلك- يختلف جدًّا عن الكابوس الآخَر.

على سبيل المثال: لا ذُعر هنا، لا هلع، لا ظلام.

ومع ذلك، ها هو ذا وحش يقف أمامه واضحًا كما اللَّيلة الصَّافية، شامخًا فوقه بعشرة أمتارٍ أو خمسة عشر، يتنفَّس بثقلٍ في هواء اللَّيل.

ثانيةً قال: «إنه مجرَّد حُلم».

قال الوحش منحنيًا ليُدني وجهه من وجه كونر: *وما الحُلم يا كونر أومالي؟ مَن يُمكنه الجزم بأن كلَّ شيءٍ آخر ليس هو الحُلم؟*

كلَّما تحرَّكَ الوحش سمعَ كونر صرير الخشب إذ يئنُّ وينقبِض في جسم الوحش الهائل، كما أنه رأى ما في ذراعيْه من قوَّة، بتلك الفروعِ الشَّبيهة بحبالٍ رفيعة متينة لا تنفكُّ تتلوَّى وتتبدَّل حركتها، صانعةً ما يبدو أنه عضلات شجريَّة موصولة بجذعٍ ضخم يُشكِّل الصَّدر، يعلوه رأسٌ وأسنان من شأنها أن تقضم جسده بمضغةٍ واحدة.

سألَ كونر محكمًا ذراعيه حول نفسه أكثر: «ماذا تكون؟».

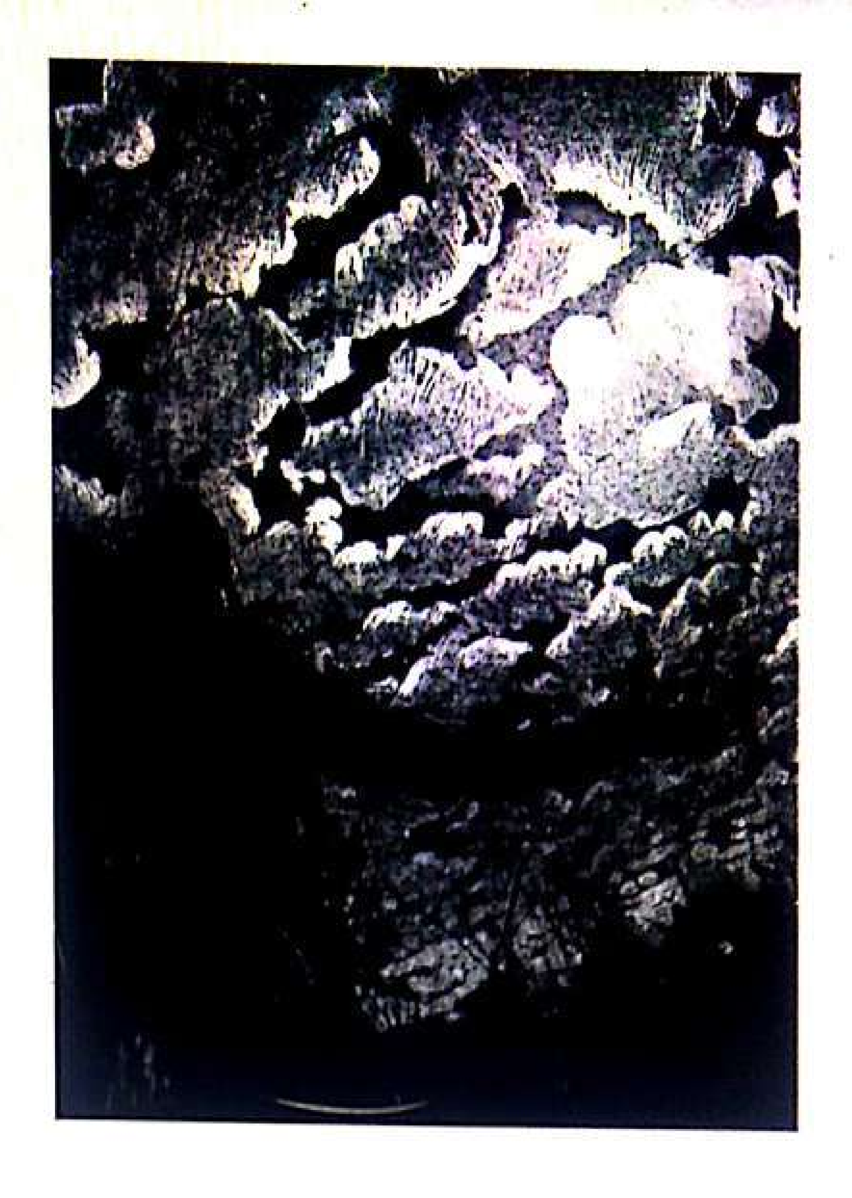
أجابَ الوحش عابسًا: *لستُ «ماذا»، إنني «مَن»*.

- «مَن تكون إذن؟».

اتَّسعت عينا الوحش، وقال وقد ازدادَ صوته علوًّا: *مَن أكونُ؟ مَن أكونُ؟*

وبدا أن حجمه يتعاظَم أمام عينَي كونر ويتنامى طوله وعرضه، وفجأةً بدأت ريح عنيفة تدور في دوَّاماتٍ من

حولهما، وبسطَ الوحش ذراعيه على جانبيه باتِّساعٍ جعلَهما تبدوان كأنما تبلُغان الأفقيْن المتواجهيْن، باتِّساعٍ جعلَهما تبدوان كفيلتيْن باحتواء العالم.





هدرَ الوحش: إن لي أسماءً بعدد سنين الزّمان ذاته! أنا هِرن الصيّاد!
أنا كرنونوس! أنا الرّجل الأخضر الأبدي!

واندفعَت ذراع عظيمة تختطف كونر وترفعه في الهواء عاليًا، وقد ظلّت الرّيح تدور من حولهما جاعلةً جِلد الوحش المورق يتموّج بغضب.

- مَن أنا؟ كرّرها الوحش مواصلًا هديره. أنا صُلب الجبال! أنا دموع الأنهار! أنا

الرِّئتان اللتان تنفثان الرِّياح! أنا الذِّئب الذي يَقتُل الوعل، الباز

الذي يَقتُل الفأر، العنكبوت التي

تَقتُل الذُّبابة! أنا الوعل المأكول والفأر

المأكول والذُّبابة المأكولة! أنا ثُعبان العالم الذي يلتهم ذيله! أنا كلُّ شيءٍ غير مروّض ولا يُمكن أن يُروَّض! ورفعَ الوحش كونر مقرِّبًا إياه من عينيه، وأضافَ: أنا هذه الأرض البرِّيّة، وقد جئتُ من أجلك

يا كونر أومالي.

علّق كونر: «إنك تبدو كشجرة».

اعتصرَه الوحش حتى صرخَ، وقال: إنني لا أجيءُ أسعى كثيرًا يا ولد، بل في مسائل الحياة والموت فقط، وأتوقّعُ أن يُصغى إليَّ.

ثم أرخى الوحش قبضته ليستطيع كونر التقاط أنفاسه من جديد، قبل أن يسأل: «ماذا تُريد مني إذن؟».

أعطاه الوحش ابتسامةً شرّيرةً، وهمدَت الرّيح وسادَ الصَّمت. *أخيرًا، المسألة الحاليَّة، السبب في أنني جئتُ أسعى.*

توتَّر كونر وقد انتابته فجأةً الخشية مما هو آتٍ.

تابعَ الوحش: *إليك ما سيَحدُث يا كونر أومالي. سآتيك ثانيةً في ليالٍ أخرى.*

أحسَّ كونر بمعدته تنقبض، كأنه يستعدُّ لتلقِّي ضربة.

- *وسأحكي لك ثلاث قصص، ثلاث حكاياتٍ عن المرَّات التي سعيتُ فيها من قبل.*

طرفَت عينا كونر مرَّةً، ثم أخرى، وقال: «ستحكي لي *قصصًا*؟».

- *أجل.*

تلفَّت حوله غير مصدِّقٍ قائلًا: «إذن... كيف يكون هذا كابوسًا؟».

دمدمَ الوحش: *القصص أضرى الأشياء جميعًا، القصص تُطارِد وتعضُّ وتقنص.*

- «هذا ما يقوله المعلِّمون دائمًا، لكن أحدًا لا يُصدِّقهم كذلك».

قال الوحش كأن كونر لم يتكلَّم: *وحينما أفرُغ من قصصي الثَّلاث، ستحكي لي أنت واحدةً رابعة.*

تلوَّى كونر في يد الوحش، وردَّ: «لا أجيدُ حكي القصص».

- ستحكي لي قصَّةً رابعةً، وستكون الحقيقة.

- «الحقيقة؟».

- وليس أيَّ حقيقة، بل حقيقتك.

قال كونر: «طيِّيب. لكنك قلت إنني سأخافُ قبل النِّهاية، ولا شيء من هذا يبدو مخيفًا على الإطلاق».

قال الوحش: أنت تعلم أن ذلك ليس صحيحًا، تعلم أن حقيقتك، تلك الحقيقة التي تُخفيها يا كونر أومالي، هي أكثر ما يُخيفك.

وكفَّ كونر عن التَّلوِّي.

لا يُمكن أنه يعني...

مستحيل أنه يعني...

مستحيل أنه يعرف هذا! لا. لا! لن يحكي ما يَحدُث في الكابوس الحقيقي أبدًا، مُحال ولو بعد مليون سنة.

قال الوحش: ستحكي، فلهذا السَّبب ناديتني.

ردَّ كونر الذي اشتدَّت حيرته: «ناديتك؟! أنا لم أنادِك...».

- ستحكي لي الحكاية الرَّابعة، ستُخبِرني بالحقيقة.

- «وإذا لم أفعل؟».

عادَ الوحش يبتسم ابتسامته الشرِّيرة قائلًا: *سألتهمك حيًّا.*

وانفتحَ فمه على اتِّساعٍ مستحيل، اتِّساعٍ يكفي لالتهام العالم كلِّه، اتِّساع يكفي لجعل كونر يختفي إلى الأبد...

اعتدلَ جالسًا في فِراشه وقد فلتَت منه صيحةً.

فِراشه، لقد عادَ إليه.

بالطَّبع كان حُلمًا، بالطَّبع، مرَّةً أخرى!

زفرَ بغضبٍ وفركَ عينيه بكعبَي كفَّيه. كيف له أن يرتاح وأحلامه متعِبة هكذا؟

فكَّر وهو يُزيح الأغطية أنه سيشرب القليل من الماء، أنه سينهض ويبدأ هذه اللَّيلة من جديد وينسى أمر الأحلام السَّخيفة التي لا تُعقَل إطلاقًا...

تحت قدمه انسحقَ شيء.

وأشعلَ كونر مصباحه ليرى الأرض مغطَّاةً بتوت شجر الطَّقسوس الأحمر السَّام.

الذي دخلَ بوسيلةٍ ما من نافذةٍ مغلقة موصدة.

الجدَّة

- «أأنت صبيٌّ بارٌّ بوالدتك؟»،

قرصَت جدَّة كونر خدَّيه بشدَّةٍ جعلته متأكِّدًا من أنها ستُدميه.

- «بارٌّ جدًّا يا أمّي». قالتها أمُّه غامزةً له بعينها من وراء جدَّته، وقد ربطَت وشاحها الأزرق المفضَّل حول رأسها. «لا داعيَ إذن لكلِّ هذا الألم».

ردَّت جدَّته: «أوه، كلام فارغ»، وأعطَته صفعتيْن مازحتيْن على كلِّ خدٍّ (أوجعَتاه للغاية حقًّا)، ثم أتبعَت بلهجة جعلَت السُّؤال لا يبدو سؤالًا على الإطلاق: «لِمَ لا تذهب وتضع الغلَّايةَ على النَّار من أجلي أنا وأمِّك؟».

ولمَّا خرجَ كونر من الحُجرة وضعَت جدَّته يديها على وركيها ورمقَت أمَّه، وما إن دخلَ المطبخ سمعَها تقول: «والآن يا عزيزتي، ماذا نفعل معكِ؟».

ليست جدَّة كونر مثل سواها من الجدَّات. لقد قابلَ جدَّة ليلي مرارًا، وكانت كما يُفترَض أن تكون الجدَّات؛ باسمةً متغضِّنة الجلد بيضاء الشَّعر وكلَّ ذلك، تطهو وجبات تعدُّ فيها للجميع ثلاث حصصٍ دائمةً من الخضراوات المسلوقة، وفي الكريسمس تجلس في الرُّكن مقهقهةً لنفسها بكأسٍ صغيرة من الشِّري في يدها وتاجٍ ورقي فوق رأسها.

أمّا جدّة كونر فترتدي بِذَلًا، وتصبغ شعرها كي لا يظهر فيه الشّيب، وتقول أشياء لا تُعقَل بتاتًا، على غرار «السّتّون هي الخمسون الجديدة»، أو «السيّارات الكلاسيّة تحتاج إلى ملمّع أغلى ثمنًا».
ما الذي يعنيه هذا؟! تُرسِل جدّته بطاقات أعياد الميلاد بالإيميل، وتُجادِل السّقاة بخصوص النّبيذ، ولديها وظيفة حتى الآن. الأسوأ من هذا منزلها الذي تملأه أشياء قديمة باهظة غير مسموح لك بلمسها أبدًا، منها ساعة لا تسمح لعاملة النّظافة بمجرّد نفض الغُبار عنها. وهذه مسألة أخرى. مَن الجدّة التي تُعيّن عاملة نظافة؟

نادَته من حُجرة الجلوس وهو يعدّ الشّاي: «ملعقتا سُكّر، لا حليب». كأنه لا يعرف هذا بالفعل من آخر ثلاثة آلاف زيارة.

عندما جلبَ الشّاي قالت جدّته: «شكرًا يا ولدي».

وقالت أمّه: «شكرًا يا حبيب قلبي»، وابتسمَت له خارج مجال بصر جدّته، مستمرّةً في دعوته للانضمام إليها ضد أمّها.

لم يستطِع كونر منع نفسه، وجاوبَها بابتسامةٍ صغيرة.

سألَته جدّته: «وكيف كانت المدرسة اليوم يا فتى؟».

أجابَ كونر: «جيِّدة».

لم تكن المدرسة جيّدةً، فليلي لا تزال تتميّز غيظًا، وهاري وضعَ قلم ماركر من غير غطاء في قاع حقيبته، والمِس كوان سحبَته جانبًا بنظرةٍ جادّة على وجهها لتطمئنّ على حاله.

قالت جدَّته واضعةً كوب الشَّاي: «أتدرين؟ هناك مدرسة بنين مستقلَّة رائعة تَبعُد أقل من نصف ميلٍ عن منزلي. لقد بحثتُ في الأمر، والمعايير الأكاديميَّة عالية للغاية، أعلى كثيرًا مما يتلقَّاه في المدرسة العموميَّة، أنا واثقة».

حدَّق كونر إليها، لأن هذا هو السَّبب الآخر الذي يجعله يكره زيارات جدَّته، فما قالته قد يعني أنها تتكبَّر على مدرسته المحلِّيَّة فحسب.

أو قد يعني ما هو أكثر، قد يكون تلميحًا إلى مستقبلٍ محتمَل.

إلى ما قد يَحدُث «لاحقًا».

شعرَ كونر بالغضب يتصاعَد في جوف معدته...

أسرعَت أمه تقول وهي تُعطيه نظرةً أخرى: «إنه سعيد حيث هو يا أمِّي. أليس كذلك يا كونر؟».

كزَّ كونر على أسنانه، وأجابَ: «إنني بخيرٍ حيث أنا».

طلبوا طعامًا صينيًّا على العشاء، فجدَّة كونر «لا تَطبُخ حقًّا». صحيحٌ هذا، لأنه متى أقامَ معها لا يجد في ثلَّاجتها أكثر من بيضةٍ ونصف ثمرة أفوكادو. أمَّا أمُّه فما زالَت أشدَّ إرهاقًا من أن تَطبُخ بنفسها، ومع أن كونر كان بإمكانه أن يعدَّ شيئًا فيبدو أن مجرَّد هذا الاحتمال لم يَخطُر لجدَّته من الأصل.

على أن التَّنظيف تُرِكَ له، وكان يدسُّ العبوَّات القصدير فوق كيس

التُّوت السَّام الذي خبَّأه في قاع سلَّة المهملات، عندما أتت جدَّته من خلفه.

قالت واقفةً في المدخل لتحول دون فراره: «أنا وأنت يجب أن نتكلَّم يا ولدي».

ردَّ كونر وهو يدفع العبوَّات إلى قاع السلَّة: «إن لي اسمًا كما تعلمين، وهو ليس *يا ولدي*».

قالت جدَّته: «خفِّف من أسلوبك الوقح هذا». كانت واقفةً وقد طوَت ذراعيها على صدرها، وحدَّق كونر إليها فترةً وحدَّقت إليه، ثم إنها طقطقَت بلسانها قائلةً: «أنا لستُ عدوَّتك يا كونر. إنني هنا لأساعد أمَّك».

- «أعرفُ ماذا تفعلين هنا». قالها متناولًا خرقةً يمسح بها سطح الطَّاولة النَّظيف بالفعل.

مدَّت جدَّته يدها واختطفَت الخرقة من يده، وقالت: «إنني هنا لأنه لا ينبغي أن يمسح صبيٌّ في الثَّالثة عشرة الطَّاولة من دون أن يُطلَب منه ذلك».

حدجَها بنظرةٍ متجهِّمة قائلًا: «أكنتِ ستُنظِّفينها أنتِ؟».

- «كونر...».

- «ارحلي. لسنا في حاجةٍ إليكِ هنا».

قالت بمزيدٍ من الحزم: «كونر، يجب أن نتكلَّم عمَّا سيحدُث».

ردَّ: «كلَّا. إنها تتوعَّك دومًا بعد تلقِّي العلاج. غدًا ستتحسَّن»، وأردفَ رامقًا إياها بغضب: «وعندها يمكنكِ العودة إلى منزلكِ».

رفعَت جدَّته عينيها إلى السَّقف وتنهَّدت، ثم فركَت وجهها بيديها، وأدهشه أن يراها غاضبةً، غاضبةً بحق.

ولكن ربما ليس منه.

تناولَ خرقةً أخرى وعادَ يمسح، فقط كي لا يضطرَّ للنَّظر إليها. مسحَ سطح الطَّاولة كلَّه حتى الحوض، وبالصُّدفة ألقى نظرةً من النَّافذة.

ورأى الوحش واقفًا في حديقته الخلفيَّة، كبيرًا كالشَّمس الغاربة. يُراقِبه.

قالت جدَّته وقد زادَت البحَّة في صوتها: «ستبدو أفضل غدًا، لكنها لن تكون كذلك حقًّا يا كونر».

مخطئة تمامًا. التفتَ إليها من جديد، وردَّ: «جلسات العلاج تُحسِّن حالتها. لهذا تذهب لها».

ظلَّت جدَّته تتطلَّع إليه وقتًا طويلًا، كأنها تُحاوِل أن تُقرِّر شيئًا، قبل أن تقول أخيرًا: «يجب أن نتكلَّم معها عن هذا يا كونر»، ثم أضافَت كأنما تُحدِّث نفسها: «يجب أن نتكلَّم هي معك عن هذا».

سألَها: «نتكلَّم معي عن ماذا؟».

عقدَت جدَّته ذراعيها على صدرها مجيبةً: «عن مجيئك للعيش معي».

قطَّب كونر وجهه، وللحظة بدا كأن الحُجرة كلَّها اشتدَّ فيها الظَّلام، للحظةٍ أحسَّ كأن المنزل كلَّه يهتزُّ، للحظة شعرَ كأن بإمكانه أن يمدَّ يديه وينتزع الأرضيَّة من التُّربة الطِّينيَّة المظلمة...

طرفَ بعينيه، وكانت جدَّته لا تزال تنتظر الجواب.

قال: «لن أعيش معكِ».

- «كونر...».

- «لن أعيش معكِ أبدًا».

- «بل ستفعل. آسفة، لكنك ستفعل. وأعلمُ أنها تُحاول حمايتك، لكنني أظنُّ أن من المهم للغاية أن تعرف أنك ستجد بيتًا حينما ينتهي كلُّ هذا يا ولدي، بيتًا مع شخصٍ يحبُّك ويرعاك».

قال كونر وفي صوته الحنق: «حينما ينتهي كلُّ هذا سترحلين وسنكون بخير».

- «كونر...».

ثم إنهما سمعا النِّداء من حُجرة الجلوس: «أمِّي؟ أمِّي؟».

هرعَت جدَّته مغادرةً المطبخ بسرعة جعلَت كونر يثب إلى الوراء مدهوشًا، وتناهى إلى مسامعه سُعال أُمِّه وصوت جدَّته يقول: «لا

بأس يا حبيبتي، لا بأس، شش، شش، شش».

في طريق العودة إلى حُجرة الجلوس عادَ يُلقي نظرةً من نافذة المطبخ.

ولم يجد الوحش.

كانت جدَّته على الأريكة ممسكةً أمَّه وتَفرُك ظَهرها وهي تُفرِغ معدتها في دلوٍ صغير يُبقونه قريبًا على سبيل الاحتياط.

رفَعت جدَّته ناظريْها إليه، إلَّا أن وجهها كان جامدًا صُلبًا لا يشي بشيءٍ على الإطلاق.

جموح القصص

كان المنزل مظلمًا. أخيرًا أخذَت جدَّته أمَّه إلى فِراشها، ثم دخلَت غُرفة كونر وأغلقَت البابَ من غير أن تسأله إن كان يُريد شيئًا من الغُرفة قبل خلودها إلى النَّوم.

تمدَّد كونر مستيقظًا على الأريكة، ولم يحسب أنه سيستطيع النَّوم بعد ما قالته جدَّته وبعد مظهر أمِّه اللَّيلة. لقد مرَّت ثلاثة أيام كاملة منذ جلسة العلاج، أي إنها المُدَّة نفسها تقريبًا التي تبدأ تتحسَّن فيها عادةً، إلَّا أنها ما زالَت تتقيأ وما زالَت منهكةً رغم مرور مُدَّةٍ أطول كثيرًا من المفترَض...

طردَ هذه الخواطر من رأسه لكنها عادَت، ليضطرَّ لطردها مرَّةً أخرى. مؤكَّد أنه راحَ في النَّوم أخيرًا، لكن الوسيلة الوحيدة التي عرفَ بها أنه نائم بالفعل كانت عندما جاءَ الكابوس.

ليس الشَّجرة، بل الكابوس.

حيث تهدر الرِّيح وترتجُّ الأرض وتتشبَّث اليدان بشدَّة ومع ذلك بطريقةٍ ما تفلتان، حيث يستنفِر كونر قوَّته كلَّها ولا تكفي، حيث ترتخي القبضة، وحيث السُّقوط والصُّراخ...

صاحَ كونر وقد تبعَه الذُّعر إلى عالم اليقظة: «لا!»، وأمسكَ صدره بقوَّة شاعرًا كأنه لا يستطيع التَّنفُّس، واختنقَ حلقه وامتلأَت عيناه بالدُّموع.

ثم إنه كرَّر بمزيدٍ من الهدوء: «لا».

كان المنزل صامتًا مظلمًا، وأصغى كونر لحظةً لكنّ شيئًا لم يتحرَّك، ولا صوت من أمّه أو جدَّته.

ضيَّق عينيه في الظَّلام ملقيًا نظرةً على ساعة مشغّل الدي في دي.

١٢:٠٧. طبعًا.

أرهفَ سمعه في الصَّمت المطبِق، ولم يَحدُث شيء، لم يسمع اسمه أو يسمع صرير الخشب.

ربما لن يأتي اللَّيلة.

قالت السَّاعة إنها ١٢:٠٨.

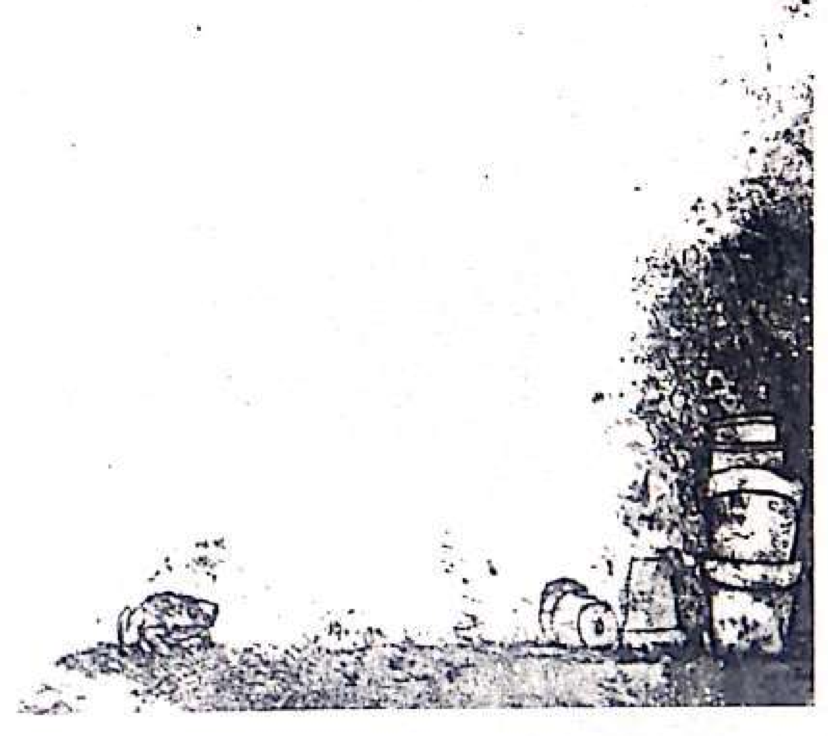
.١٢:٠٩

شاعرًا بغضبٍ مبهم، نهضَ كونر وذهبَ إلى المطبخ لِيَنظُر من النَّافذة.

ووجدَه واقفًا في الحديقة الخلفيَّة.

وسألَه الوحش: *ما الذي أخَّركَ؟*





- • -

- حانَ الوقت لأن أحكي لك القصّة الأولى.

لم يتحرَّك كونر من مكانه على مقعد الحديقة حيث
جلَسَ بعد خروجه، وقد رفعَ ساقيه إلى صدره وألصقَ
وجهه برُكبتيه.

سألَه الوحش: *أأنت منصت؟*

أجابَ كونر: «لا».

شعرَ بالهواء يدور بعُنفٍ من حوله مجدَّدًا، وقال
الوحش: *ستُنصِت لي! إنني أماثلُ هذه الأرض عُمرًا،
وستُعامِلني بالاحترام الذي أستحقُّه...*

قامَ كونر عن المقعد واتَّجه إلى باب المطبخ ليعود إلى الدَّاخل.

- *أين تحسب نفسك ذاهبًا؟*

دارَ كونر على عقبيْه وقد لاحَ على وجهه غضب غامر وألم بالغ،
حتى إن الوحش استقامَ في وقفته وارتفعَ حاجباه الضَّخمان المكوَّنان
من ورق الشَّجر دهشةً.

بحدَّةٍ قال كونر: «ما الذي تعرفه أنت؟ ما الذي تعرفه عن أيِّ
شيءٍ؟».

أجابَ الوحش: *أعرفُ بأمرك أنت يا كونر أومالي.*

- «لا، لست تعرف شيئًا. لو كان ذلك صحيحًا لعرفت أن لا وقت
عندي لسماع قصصٍ سخيفة مملَّة من شجرةٍ سخيفة مملَّة ليست حقيقيَّة

أصلًا...».

- حقًّا؟ *أكان التُّوت على أرضيَّة غُرفتك حُلمًا؟*

ردَّ كونر زاعقًا: «ومَن يُبالي حتى إن لم يكن حُلمًا؟! إنها مجرَّد بضع حبَّات توت سخيفة. وو-هو! لكم يُخيفني هذا! أوه، أرجوك، أرجوك أنقِذني من التُّوت!».

رمقَه الوحش بتساؤلٍ واستغرابٍ قائلًا: *عجبًا! كلامك الذي تنطقه يُحدِّثني بأنك تخاف التُّوت، لكن أفعالك تُوحي بغير ذلك.*

- «تُماثِل هذه الأرض عُمرًا ولم تسمع قَطُّ عن السُّخرية؟».

أجابَ الوحش واضعًا يديه الضَّخمتين على وركيه: *أوه، لقد سمعتُ عنها، لكن النَّاس عادةً أعقل من أن يُخاطِبوني بها.*

- «ألا يُمكنك أن تدعني وشأني؟».

هزَّ الوحش رأسه، ولكن ليس ردًّا على سؤال كونر، وقال: *غريبٌ هذا للغاية. لا يبدو أن شيئًا أفعله يُخيفك مني.*

قال كونر: «إنك شجرة!»، ولم يكن هناك سبيل آخَر للتَّفكير في الأمر. على الرغم من أنه يمشي ويتكلَّم، وعلى الرغم من أنه أكبر من منزله وقادرٌ على ابتلاعه دُفعةً واحدةً، ففي النِّهاية ما زالَ الوحش مجرَّد شجرة طقسوس، حتى إن كونر يرى مزيدًا من التُّوت ينمو من

فروع مِرفقيه.

أضافَ الوحش: *كما أن عندك أشياء أخرى تخافها*، ولم يكن قوله سؤالًا.

خفضَ كونر عينيه إلى الأرض، ثم رفعَهما إلى القمر، يَنظُر إلى أيِّ شيءٍ باستثناء عينَي الوحش. كان الشُّعور بالكابوس يتصاعَد في داخله محيلًا كلَّ ما يحيط به إلى ظُلمة وجاعلًا كلَّ شيءٍ يبدو ثقيلًا مستحيلًا، كأنما طُلِبَ منه أن يرفع جبلًا بيديه العاريتين ولن يُسمَح له بالرَّحيل حتى يفعَل.

قال: «ظننتُ...»، لكنه سَعلَ رغمًا عنه قبل أن يتكلَّم ثانيةً. «لقد رأيتك تُراقِبني حين كنتُ أتشاجرُ مع جدَّتي، وظننتُ...».

ولمَّا لم يتمَّ كونر عبارته سألَه الوحش: *ماذا ظننت؟*

عادَ كونر يدور نحو المنزل قائلًا: «لا عليك».

قال الوحش: *ظننت أنني هنا لأساعدك.*

وتوقَّف كونر.

- *ظننتني جئتُ لأطيح بأعدائك، لأقتل ما يُروِّعك من تنانين.*

لم يلتفت إليه كونر، ولو أنه لم يَدخُل كذلك.

- *شعرتَ بحقيقة هذا عندما قلتُ إنك ناديتني، حقيقة أنك السبب في مجيئي أسعى، أليس كذلك؟*

التفتَ كونر قائلًا: «لكنِ كلّ ما تُريد أن تفعله هو أن تحكي لي قصصًا»، ولم يستطِع أن يُخفي خيبة الأمل في صوته، لأن ما قاله الوحش صحيح. لقد فكّر في هذا، تمنّاه.

ركعَ الوحش مقرِّبًا وجهه من وجه كونر، وقال: قصصًا عن إطاحتي بالأعداء، قصصًا عن قتلي التّنانين.

بادلَ كونر الوحش النّظر.

- *القصص مخلوقات جامحة، إذا أطلقت سراحها فمَن يدري ما الذي قد تُسبّبه من دمار؟*

رفعَ الوحش عينيه، وتتبعَ كونر نظرته إلى غُرفة نومه حيث تنام جدّته.

- *دعني أحكي لك قصّةً عن مرّةٍ ذهبتُ فيها أسعى، دعني أحكي لك عن نهاية ملكةٍ شرّيرة وكيف استوثقتُ من أن أحدًا لن يراها ثانيةً أبدًا.*

ابتلعَ كونر ريقه ونظرَ إلى وجه الوحش، وقال: «احكِ».

الحكاية الأولى

قال الوحش: في قديم الزَّمن، قبل أن تُصبح هذه بلدةً فيها طُرق وقطارات وسيّارات، كانت مكانًا أخضر، تُغطّي أشجاره كلَّ تلٍّ وتُناخِم كلَّ دربٍ وتُظلّل كلَّ جدولٍ وتحمي كلَّ منزلٍ، فحتى في ذلك الحين ضمَّت هذه الأنحاء منازل مبنيَّةً بالحجارة والتّراب.

كانت هذه مملكةً.

(قال كونر متلفّتًا في أنحاء حديقته الخلفيَّة: «ماذا؟ هنا؟!»).

(حنى الوحش رأسه ورمقَه بفضولٍ سائلًا: ألم تسمع عنها؟).

(أجابَ كونر: «نعم، لم أسمع عن مملكةٍ في هذه المنطقة. ليس عندنا مكدونالدز حتى»).

تابعَ الوحش: وعلى الرغم من ذلك كانت مملكةً، صغيرةً لكن سعيدةً، فالملك كان ملكًا عادلًا، رجلًا وُلِدَت حكمته من المصاعب. أنجَبت زوجته أربعة أبناءٍ أقوياء، لكن الملك أُجبِرَ خلال عهده على خوض عدَّة معارك من أجل أن يحفظ السَّلام في مملكته؛ معارك ضد عمالقة وتنانين، معارك ضد ذئابٍ سوداء لها أعيُن حمراء، معارك ضد جيوشٍ من الرّجال يقودها سحرة عظام.

أمَّنت المعارك حدود المملكة وجلَبت للبلاد السَّلام، غير أن النَّصر لم يتحقَّق من دون ثمن، فواحدًا تلو الآخَر قُتِلَ أبناء الملك. بنار تنّينٍ أو يدَي عملاقٍ أو أسنان ذئبٍ أو حربة رجلٍ، واحدًا تلو الآخَر سقطَ

أمراء المملكة جميعًا، تاركين للملك وريثًا واحدًا هو حفيده الرَّضيع.

(علَّق كونر بريبة: «كلُّ هذا يبدو أشبه كثيرًا بالحكايات الخُرافيَّة»).

(ردَّ الوحش: لم تكن لتقول هذا لو أنك سمعت صرخات رجلٍ تقتُله حربة، أو صياحه المرعوب والذِّئاب تُمزِّقه أشلاءً. والآن صمتًا).

سرعان ما استسلمَت زوجة الملك لحسرتها، وكذا أُمُّ الأمير الصَّغير، وتُرِكَ الملك في صُحبة الطِّفل وحده، ومعه حُزن أشد من أن يحتمله رجل واحد بمفرده.

حازمًا أمره قال الملك: «يجب أن أتزوَّج ثانيةً لأجل صالح أميري ومملكتي إن لم يكن لنفسي».

وثانيةً تزوَّج الملك، هذه المرَّة بأميرةٍ من مملكةٍ مجاورة، في اتِّحادٍ عمليٍ جعلَ كلتا المملكتيْن أقوى. كانت شابَّةً حسناء، وعلى الرغم من أنَّ وجهها كان قاسيًا بعض الشَّيء ولسانها حادًّا بعض الشَّيء، فقد بدا أنها أسعدَت الملك.

مرَّ الزَّمن، وكبرَ الأمير الصَّغير حتى بلغَ أعتاب الرُّجولة، وصارَ يفصله عامان عن عيد مولده الثَّامن عشر، الذي سيُتيح له أن يرتقي العرش عند وفاة الملك العجوز. كانت أيامًا سعيدةً على المملكة، فقد وضعَت المعارك أوزارها وبدا المستقبل مضمونًا في يدَي الأمير الشَّاب الشُّجاع.

إلّا أن يومًا جاء ومرض الملك. بدأت شائعة تنتشر عن أن زوجته الجديدة تُسمّمه، وراجت قصص تقول بأنها صنعت سحرًا آثمًا لتجعل نفسها تبدو أصغر من سنّها الفعليّة، وإن تحت ملامحها النّضرة يكمُن وجه عابس لعجوزٍ شمطاء. لا أحد كان ليستبعِد أنها سمّمت الملك، رغم أنه ناشدَ رعاياه حتى آخرِ أنفاسه ألّا يلوموها.

وهكذا ماتَ الملك ولا تزال سنة كاملة تفصل حفيده عن الحُكم. أصبحَت الملكة -زوجة جدّه- وصيّةً على العرش بدلًا منه، واضطلَعت بشؤون الدّولة جميعًا إلى أن يصير الأمير كبيرًا بما فيه الكفاية لتولّي السّلطة.

في البداية، وهو ما أدهشَ كثيرين، كان عهدها عهدًا طيّبًا. كانت ملامحها -على الرغم من الشّائعات- لا تزال شابّةً سارّةً، وقد سَعت بجدٍّ لمواصلة حُكم البلاد على نهج الملك الرّاحل نفسه.

وفي تلك الأثناء كان الأمير قد وقَع في الحُبّ.

(قال كونر متذمّرًا: «كنتُ أعرفُ هذا! في هذه القصص دائمًا أمراء سُخفاء يقعون في الحُبّ»، وأضافَ وقد بدأ يتحرّك عائدًا إلى المنزل: «حسبتها ستكون قصّةً جيّدةً!»).

(بحركةٍ واحدة سريعة، أطبقَ الوحش على كاحلَي كونر بيدٍ طويلة قويّة وعلّقه في الهواء مقلوبًا، ليتجعّد تيشرته ويسمع صوت ضربات قلبه مكتومةً في رأسه).

(وقال الوحش: كما كنتُ أقولُ).

وقَعَ الأمير في الحُبِّ. كانت مجرَّد ابنة مُزارع لكنها جميلة، وذكيَّة أيضًا، وهو ما تحتاج إليه بنات المُزارعين، فالعمل في المَزارِع معقَّد. سعدَت المملكة بذلك الارتباط، أمَّا الملكة فلا. لقد استمتعت بالوقت الذي قضته في الوصاية على العرش وشعرَت بتردُّدٍ غريب في التَّخلِّي عنه، وبدأت تُفكِّر أنه قد يكون من الأفضل أن يبقَى التَّاج داخل العائلة، أن يُدير المملكة مَن يملكون الحكمة الكافية، فهل من حلٍّ أفضل إذن من زواج الأمير بها هي؟

(قال كونر الذي لا يزال مقلوبًا: «هذا مقزِز! إنها جدَّته!»).

(ردَّ الوحش مصحِّحًا: زوجة جدِّه، لا تربطها به صلة دم، وعلى ما يبدو للجميع امرأة شَابَّة أيضًا).

(هزَّ كونر رأسه وشعره متدلٍّ، وقال: «هذا غير مقبول»، وصمتَ لحظةً قبل أن يسأل: «هلَّا تُنزلني؟»).

(فأنزلَه الوحش على الأرض، وواصلَ القصَّة).

حتى الأمير رأى أن زواجه بالملكة خطأ. قال إنه يُفضِّل الموت على أن يفعل شيئًا كهذا، وأقسمَ أن يهرب مع ابنة المُزارع الجميلة ويعود في عيد مولده الثَّامن عشر ليُحرِّر شعبه من طُغيان الملكة. وهكذا، ذات ليلة، انطلقَ الأمير وابنة المُزارع راحلَيْن على ظَهر حصان، ولم يتوقَّفا إلَّا عند الفجر ليناما في ظلِّ شجرة طقسوس

ضخمة.

(سألَه كونر: «أنت؟»).

(أجابَ الوحش: أنا. لكنها أيضًا مجرَّد جزءٍ مني. أستطيعُ اتِّخاذ أيِّ شكلٍ بأيِّ حجم، لكن شجرة الطَّقسوس شكل مريح للغاية).

تعانقَ الأمير وبنت المُزارع في الفجر البازغ. كانا قد تعاهَدا على التزام العفَّة إلى أن يتمكَّنا من الزَّواج في المملكة المجاورة، إلَّا أن العاطفة غلبَتهما، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يغيب كلاهما في النَّوم عاريًا في أحضان الآخر.

ظلَّا نائمَيْن طوال النَّهار في ظلال فروعي وسقطَ اللَّيل من جديد، ثم صحا الأمير وهمَس لابنة المُزارع: «استيقظي يا حبيبتي، فإننا راكبان إلى اليوم الذي نصير فيه زوجًا وزوجةً».

غير أن حبيبته لم تستيقظ. هزَّها، وفقط عندما ارتخى جسدها في ضوء القمر لاحظَ الأمير الدَّم الذي يُلوِّث الأرض.

(ردَّد كونر: «دم؟»، لكن الوحش واصلَ الحكي).

كان الدَّم يُغطِّي يدَي الأمير أيضًا، ورأى وسط العُشب إلى جوارهما سكِّينًا داميًا مسنودًا إلى جذور الشَّجرة. أحدهم قتلَ حبيبته، وفعلَ هذا بطريقةٍ تجعل الأمير يبدو كأنما ارتكبَ الجريمة.

صرخَ الأمير: «الملكة! الملكة هي المسؤولة عن هذه الخيانة!».

ترامى إلى مسامعه من بعيدٍ أصوات القرويِّين وهُم يقتربون. إذا

وجدوه فسيرون السكِّين والدَّم ويتَّهمونه بالقتل، ومن ثَمَّ يُعاقِبونه بالموت على جريمته.

(علَّق كونر مطلقًا صوتًا ينمُّ عن الاشمئزاز: «وتمكَّن الملكة من الحُكم من دون معارضة. أتمنى أن تنتهي هذه القصَّة باقتلاعك رأسها من عنقها»).

لم يكن هناك مكان يفرُّ إليه الأمير. حصانه طُرِدَ وهو نائم، وشجرة الطَّقسوس ملاذه الوحيد.

وأيضًا المكان الوحيد الذي يُمكنه اللُّجوء إليه للمساعدة.

اعلم أن العالم كان أكثر شبابًا في ذلك الحين، والحائل بين الأشياء أرقّ، العبور منه أسهل. كان الأمير يعلم هذا، وهكذا رفَع رأسه لشجرة الطَّقسوس العظيمة وتكلَّم.

(ثم صمتَ الوحش).

(تساءلَ كونر: «ماذا قال؟»).

(أجابَه الوحش: قال ما يكفي لأن يجعلني أسعى. إنني أعرفُ الظُّلم حين أراه).

هرَع الأمير نحو القرويِّين المقتربين صائحًا: «الملكة قتلَت عروسي! لا بُدَّ من إيقاف الملكة!».

كانت الشَّائعات عن شعوذة الملكة متناقلةً لفترةٍ طويلة بالفعل، والأمير محبوبًا للغاية عند النَّاس، حتى إن رؤيتهم الحقيقة لم تتطلَّب

إلا أقل القليل، بل واستغرقت وقتا أقل لما رأوا الرجل الأخضر العظيم يمشي ووراءه عاليا كالتلال وقد أتى للانتقام.

(عادَ كونر يَنظُر إلى جسامة ذراعَي الوحش وساقيه، إلى فمه الخشن المليء بالأسنان، إلى وحشيّته الغامرة، وتخيَّل ما جالَ ببال الملكة عندما رأته قادمًا).

(وابتسمَ).

اقتحمَ الرَّعايا قلعة الملكة بثورة عارمة قوَّضت حجارة الأسوار ذاتها. سقطَت التَّحصينات وانهارَت السُّقوف؛ ولمَّا وجدَ الغوغاء الملكة في مسكنها قبضوا عليها وجرُّوها إلى الوتد في التَّوِّ واللَّحظة ليُحرِقوها حيَّةً.

(مبتسمًا قال كونر: «عظيم. لقد استحقَّت هذا»، ورفعَ عينيه إلى نافذة غُرفته حيث تنام جدَّته، وأردفَ: «ألا يُمكنك أن تُساعِدني بشأنها؟ لا أعني أنني أريدها أن تحترق حيَّةً أو ما شابهَ، ولكن ربما فقط...»).

قاطعَه الوحش: *القصَّة لم تنتهِ بعدُ.*

تكملة الحكاية الأولى

قال كونر: «لم تنتهِ؟ لكن المملكة أطيحَ بها».

ردَّ الوحش: *أجل، ولكن ليس أنا مَن أطاحَ بها.*

تردَّد كونر شاعرًا بالحيرة، وقال: «قلتَ إنك استوثقت من أن أحدًا لم يرَها مجدَّدًا».

- *وقد كان. عندما أشعلَ القرويُّون النَّار في الوتد ليُحرِقوها حيَّةً، مددتُ يدي في اللَّهب وأنقذتها.*

- «ماذا؟!».

- *أخذتها وحملتها بعيدًا بحيث لا يَعثُر عليها القرويُّون ثانيةً أبدًا، بعيدًا عن المملكة التي وُلِدَت فيها ذاتها، إلى قريةٍ على البحر، وهناك تركتها لتعيش في سلام.*

نهضَ كونر قائلًا بصوتٍ ارتفعَ من عدم التَّصديق: «لكنها قتلَت ابنة المُزارِع! كيف يُمكنك أن تنقذ قاتلةً؟»، ثم لاحَ الإحباط على وجهه وتراجعَ خُطوةً مضيفًا: «أَنت وحش حقًّا».

- *لم أقل إنها قتلَت ابنة المُزارِع. كلُّ ما قلته إن الأمير قال هذا.*

حملقَ إليه كونر، ثم عقدَ ذراعيه على صدره متسائلًا: «مَن قتلَها إذن؟».

فتحَ الوحش يديه الضَّخمتين بطريقةٍ معيَّنة، ليهبَّ نسيم جالبًا معه

ضبابًا. كان منزل كونر لا يزال وراءه، لكن الضَّباب غطَّى الحديقة الخلفيَّة مستبدلًا إياها بحقلٍ ترتفع في منتصفه شجرة طقسوس، ورجلٍ وامرأةٍ نائمَيْن عند قاعدتها.

قال الوحش: *بعد جماعهما ظلَّ الأمير مستيقظًا.*

شاهدَ كونر فيما قامَ الأمير ونظرَ إلى ابنة المُزارع النَّائمة، التي لم يَفُت كونر نفسه جمالها. تطلَّع الأمير إليها لحظةً، ثم التحفَ بدثارٍ وذهبَ إلى حصانهما المربوط بأحد فروع شجرة الطَّقسوس ليتناول شيئًا من جرابِ السَّرج، قبل أن يحلَّ رباط الحصان ويصفعه بقوَّةٍ على عجيزته لينطلق يعدو. ثم رفعَ الأمير ما أخذَه من الجراب:

سكِّينًا يلتمع في ضوء القمر.

قال كونر: «لا!».

أغلقَ الوحش يديه، وعادَ الضَّباب ينزل إذ دنا الأمير من ابنة المُزارع النَّائمة شاهرًا سكِّينه.



- «قلت إنه فوجئ لمَّا لم تستيقظ!»».

تابعَ الوحش: بعد أن قتلَها، تمدَّد الأمير إلى جوار ابنة المُزارع وعادَ إلى النَّوم، وعندما استيقظَ مثَّل تمثيليَّةً صامتةً تحسُّبًا لكون أحدهم يُشاهِده، ولكن أيضًا -وقد يُدهِشك هذا- من أجل نفسه، وطقطقَت فروعه وهو يُردِف: أحيانًا يحتاج النَّاس إلى الكذب على أنفُسهم أكثر من أيّ أحدٍ آخَر.

- «قلت إنه طلبَ مساعدتك! وإنك منحته إياها!»».

- لم أقل إلَّا إنه قال ما يكفي لأن يجعلني أسعى.

نقلَ كونر عينيه المتَّسعتين من الوحش إلى الحديقة الخلفيَّة التي بدأت

تبرُز من جديدٍ من الضَّباب المنقشِع، وسألَ: «بِمَ أخبرَك؟».

- أخبرَني بأنه فعلَ ما فعلَه لأجل صالح المملكة، بأن الملكة الجديدة في الحقيقة ساحرة، وبشكّ جدّه في هذا عندما تزوَّجها، وإن تغاضي عن شكّهِ بسبب جَمالها. لم يكن الأمير يستطيع الإطاحة بساحرةٍ قويّة بمفرده، واحتاج إلى ثورة القرويّين لتُساعده، وهو ما ضَمِنَه موت ابنة المُزارع. قال إنه آسفٌ لما فعلَه، إنه كسير القلب، ولكن مثلما ماتَ أبوه دفاعًا عن المملكة ماتَت هذه الفتاة الجميلة، وكان موتها في سبيل الخلاص من شرٍّ عظيم. عندما قال إن الملكة قتلَت عروسه كان مؤمنًا على طريقته الخاصَّة بصحَّة هذا.

صاحَ كونر: «يا له من هُراء! لم يكن مضطرًّا لقتلها. الشَّعب كان وراءه، وكان ليتبعه على كلِّ حال».

قال الوحش: لا بُدَّ دومًا من سماع تبريرات القَتلة بارتياب، وهكذا كان الظُّلم الذي رأيته، السَّبب الذي جعلَني أسعى، في حقِّ الملكة لا الأمير.

سألَه كونر بانزعاجٍ بالغ: «هل افتضحَ أمره؟ هل عاقَبوه؟».

- بل أصبحَ ملكًا محبوبًا للغاية، وكان حُكمه سعيدًا حتى نهاية عُمره المديد.

رفعَ كونر ناظريْه إلى نافذة غُرفته وقد عادَ يعبس، وقال: «إذن فقد كان الأمير الصَّالح قاتلًا، والملكة لم تكن ساحرةً على الإطلاق.

أمن المفترَض أن يكون هذا هو الدَّرس الذي أتعلَّمه من كلِّ ما حكيته؟ أن عليَّ أن أعاملها بلُطف؟!». سمِعَ قعقعةً غريبةً تختلف عمَّا سمعَه من قبل، واستغرقَ بُرهةً حتى أدركَ أن الوحش يضحك.

- *أتحسبني أحكي لك هذه القصص لألقِّنك دروسًا؟ أتحسبني جئتُ أسعى من قلب الزَّمن والأرض ذاتها لألقِّنك درسًا في اللُّطف؟*

ومرَّةً أخرى ضحكَ الوحش وضحكَ بصوت يرتفع ويرتفع حتى ارتجَّت الأرض وبدا كأن السَّماء نفسها ستسقُط.

قال كونر محرجًا: «حسن، ليكن».

أخيرًا قال الوحش وقد هدَّأ نفسه: *لا، لا. الملكة كانت بكلِّ تأكيدٍ ساحرةً، ووارِدٌ جدًّا أنها كانت في سبيلها إلى شرٍّ عظيم. مَن يدري؟ لقد حاولَت التَّمسُّك بالسُّلطة رغم كلِّ شيء.*

- «لماذا أنقذتها إذن؟».

- لأنها لم تكن قاتلةً.

ذرعَ كونر أرض الحديقة فترةً مفكِّرًا، ثم امتدَّ تفكيره فترةً أطول، قبل أن يقول: «لا أفهم. مَن الشَّخص الصَّالح هنا؟».

- *ليس هناك شخص صالح دومًا، ولا شخص طالح. أكثر النَّاس في منطقةٍ وُسطى بين هذا وذاك.*

هزَّ كونر رأسه قائلًا: «هذه قصَّة في غاية الرَّداءة، وخادعة».

قال الوحش: إنها قصة حقيقيَّة. أشياء حقيقيَّة كثيرة تجعل المرء يَشعُر بأنها خادعة. الممالك تنال الأمراء الذين تستحقُّهم، وبنات المُزارعين يمتن بلا سبب، وأحيانًا تستحقُّ السَّاحرات الإنقاذ. في أغلب الأحيان في الحقيقة، لدرجةٍ ستُدهشك.

من جديدٍ ألقى كونر نظرةً على نافذة غُرفته متخيِّلًا جدَّته النَّائمة في فِراشه، ثم سألَ الوحش: «وكيف يُفترَض أن يُنقِذني هذا منها؟».

شدَّ الوحش قامته عن آخرِها ناظرًا إلى كونر من بعيد، وقال: *ليست هي من تحتاج إلى إنقاذٍ منه.*

اعتدلَ كونر جالسًا على الأريكة بأنفاسٍ ثقيلة.

وقالت السَّاعة إنها ١٢:٠٧.

- «تبًّا! هل أحلمُ أم لا؟».

نهضَ غاضبًا...

وفي الحال اصطدمَت إصبع قدمه بشيءٍ ما.

دمدمَ مائلًا ليُشعِل الضَّوء: «ما هذا الآن؟!».

من عُقدةٍ في أحد ألواح الأرضيَّة الخشبيَّة، كانت نبتة جديدة طازجة صُلبةً للغاية قد انبثقَت بطول قدمٍ تقريبًا.

حدَّق إليها كونر بعض الوقت، ثم ذهبَ إلى المطبخ وأحضرَ سكِّينًا ليقطعها.

تفاهُم

- «أسامحك». قالتها ليلي التي لحقَت به في الطَّريق إلى المدرسة في اليوم التَّالي.

سألَها كونر من دون أن يَنظُر إليها: «علامَ؟». كان الحنق لا يزال يتملَّكه من قصَّة الوحش، من المسار الملتوي المخادع الذي اتَّخذته من غير أن يمدَّه شيء منها بالعون. ليلة البارحة قضى نصف ساعة في نشر النَّبتة -التي فاجأته متانتها- من الأرضيَّة، وشعر كأنه لم يكد يغيب في النَّوم من جديد حتى حانَ وقت الاستيقاظ، وهو ما لم يكتشفه إلَّا عندما بدأت جدَّته تزعق فيه لأنه تأخَّر، ولم تسمح له بمجرَّد توديع أمِّه، قائلةً إنها مرَّت بليلة عصيبة وتحتاج إلى الرَّاحة. بثَّ فيه هذا شعورًا بالذَّنب، فما دامت أمُّه قد مرَّت بليلة عصيبة فكان يجب أن يكون هو موجودًا ليُساعِدها، لا جدَّته التي تركَته يغسل أسنانه بالكاد قبل أن تدسَّ تفَّاحةً في يده وتدفعه من الباب.

قالت ليلي بخشونةٍ ليست شديدةً: «أسامحك على إيقاعي في مشكلةٍ أيها الأحمق».

- «أنتِ التي أوقعتِ نفسكِ في مشكلة. أنتِ التي دفعتِ سُلي».

ردَّت ليلي التي تضمُّ خُصلات الكلبة البودل بإحكامٍ مؤلم برباطٍ مطَّاطي: «أسامحك لأنك كذبت».

واصلَ كونر المشي صامتًا.

- «ألن تقول إنك أيضًا آسف؟».

- «نعم، لن أقول».

- «لماذا؟».

- «لأنني لستُ آسفًا».

- « كونر...».

توقَّف قائلًا: «لستُ آسفًا، ولا أسامحكِ».

تبادَلا النَّظراتَ الحادَّة في شمس الصَّباح الفاترة، لا يُريد كلاهما أن يكون أول من يُشيح ببصره.

أخيرًا قالت ليلي: «ماما قالت إن علينا أن نُخصِّص لك مساعدات، بسبب ما تمرُّ به».

وللحظة بدا كأنما توارَت الشَّمس خلف السُّحب، للحظة لم يَعُد كونر يرى إلَّاً عواصف رعديةً في الطَّريق ويَشعُر بها تستعدُّ للانفجار في السَّماء وعبر جسده ومن قبضتيه، للحظة خُيِّلَ إليه أنه يستطيع القبض على الهواء ذاته ليلويه حول ليلي ويُمزِّقها نصفين...

قالت ليلي جافلةً: « كونر؟».

- «أمُّكِ لا تعرف شيئًا، ولا أنتِ تعرفين».

وأسرعَ يبتعد تاركًا إياها وراءه.

- • -

قبل ما يزيد قليلًا على العام، أخبرَت ليلي بعض أصدقائها بحالة أمّ كونر، على الرغم من أنه لم يسمح لها بذلك، فأخبرَ هؤلاء الأصدقاء بعضًا من أصدقائهم، وهؤلاء بعضًا من أصدقائهم، وقبل أن يَبلُغ اليوم منتصفه وجدَ كونر كأن دائرةً انفتحَت من حوله، منطقةً ميتةً يقف في مركزها محاطًا بالألغام ويخاف الجميع المشي فيها. على حين غرَّة أمسى مَن عدَّهم أصدقاءه يلوذون بالصّمت عند وصوله، مع أن أولئك -بخلاف ليلي- لم يكونوا كُثرًا على كلِّ حال، لكن ولو! وبدأ يضبط النَّاس يتهامسون وهو يقطع الرُّواق إلى فصله أو خلال الغداء، وحتى المعلّمون احتلَّت وجوههم نظرة مغايرة إذا رفعَ يده في أحد الدُّروس.

هكذا، في النّهاية، كفَّ عن الذَّهاب إلى مجموعات الأصدقاء، وكفَّ عن النَّظر إذا سمعَ همسهم، وكفَّ أيضًا عن رفع يده.

على أن أحدًا لم يبدُ أنه لاحظَ، فكأنه أصبحَ خفيًّا فجأةً.

لم يعرف كونر قَطُّ عامًا دراسيًّا أصعب، أو يَشعُر بارتياحٍ أشد لحلول إجازةٍ صيفيَّةٍ مثل تلك السَّابقة. وقتها كانت أُمُّه قد قطعَت شوطًا طويلًا في العلاج، الذي قالت عنه مرارًا وتكرارًا إنه قاسٍ لكنه «يؤدّي الغرض»، وقد أوشك جدوله الطَّويل على الانتهاء. كانت الخطَّة أن تَفرُغ من العلاج، ويبدأ عام دراسي جديد، وعندها يتمكَّنان من وضع كلِّ هذا خلفهما والبدء بدايةً جديدةً.

غير أن الأمر لم يسِر حسب الخطَّة المرسومة. استمرَّت جلسات

علاج أمّه وقتًا أطول مما ظنّا في الأصل، فتلقّت دورةً ثانيةً، وها هي ذي تتلقّى الثّالثة. ومعلِّمو صفِّه الجديد أسوأ كذلك، لأنهم يعرفونه حسب حالة أمّه فقط وليس الشّخص الذي كانه قبلها، كما أن الأطفال الآخَرين واصَلوا معاملته كأنه هو المريض، خاصّةً منذ وضعَ عليه هاري وتابعاه أعيُنهم.

والآن تمكُث جدّته في المنزل، ويَحلُم هو بالأشجار.

أو قد لا يكون حُلمًا، وهذا في الحقيقة أسوأ.

واصلَ الطّريق إلى المدرسة غاضبًا. إنه يلوم ليلي لأنها غالبًا غلطتها هي، أليس كذلك؟

يلوم ليلي، فَمَن غيرها يلوم؟

هذه المرّة هوَت قبضة هاري على بطنه.

سقطَ كونر أرضًا ليكشط رُكبته على درجة السُّلّم الخرسانة ويَثقُب بنطال زيِّه المدرسي، وكان الثّقب أسوأ ما في الأمر، لأنه خائب تمامًا في الخياطة.

ضحكَ سُلي قائلًا من مكانٍ ما خلفه: «يا لك من أهوج يا أومالي. يبدو أنك تَسقُط كلَّ يوم».

وسمعَ أنتون يقول: «عليك أن تذهب إلى الطّبيب».

قال سُلي: «قد يكون سكرانًا»، وارتفعَ ضحك الاثنين أكثر، غير أن فجوة صمتٍ بينهما نبّهت كونر إلى عدم اشتراك هاري معهما في

الضَّحك. من دون أن يَنظُر وراءه علِمَ أن هاري يُراقِبه فحسب، ينتظر ليرى ما سيفعله.

بينما ينهض، رأى ليلي عند سور المدرسة مع بعض الفتيات الأخريات، تتَّجه عائدةً إلى الدَّاخل مع نهاية فترة الرَّاحة. لم تكن تتكلَّم معهن، بل تَنظُر إلى كونر فقط وهي تبتعد.

قال سُلي الذي لم يتوقَّف عن الضَّحك: «لا مساعدة من السوبر بودل اليوم!».

علَّق هاري متحدِّثًا للمرَّة الأولى: «لحُسن حظِّك يا سُلي».

لم يكن كونر قد التفتَ ليواجِههم، لكنه عرفَ أن هاري لم يضحك لدُعابة سُلي.

وراقبَ ليلي حتى اختفَت.

- «أنت، انظُر إلينا عندما نُكلِّمك». قالها سُلي مغتاظًا بالتَّأكيد من تعليق هاري، وقد قبضَ على كتف كونر ليُديره.

قال هاري بصوت هادئ خفيض: «لا تلمسه»، وإن نطقَها بنبرةٍ متوعِّدة حتى إن سُلي تراجعَ من فوره، ليُتابِع هاري: «أنا وأومالي بيننا تفاهُم. أنا الوحيد الذي يلمسه، أليس كذلك؟».

انتظرَ كونر لحظةً، ثم أومأ برأسه إيجابًا ببُطء. يبدو أن هذا هو التَّفاهُم الذي بينهما حقًّا.

خطا هاري مقتربًا من كونر بوجهٍ خالٍ من التَّعبير وعينين مثبَّتتَيْن

على عينيه. لم يجفل كونر، ووقفَ كلاهما يَنظُر إلى الآخَر، فيما تبادلَ أنتون وسُلي نظراتٍ متوتِّرةً بعض الشَّيء.

حنى هاري رأسه جانبًا قليلًا كأن سؤالًا خطرَ له، سؤالًا يُحاوِل العثور على إجابته، وظلَّ كونر بلا حراك. كان باقي الصَّف قد دخلَ بالفعل، وشعرَ كونر بمساحةٍ هادئة تلفُّهم، وحتى بأنتون وسُلي إذ لاذا بالصَّمت. عليهم أن يذهبوا قريبًا. بل يجب أن يذهبوا الآن.

إلَّا أن أحدًا لم يتحرَّك.

رفعَ هاري قبضتَهَ وسحبَها إلى الوراء كأنَّما يستعدُّ لأن يهوي بها على وجه كونر.

ولم يزل كونر لم يجفلِ أو يتحرَّك ولو حركةً صغيرة من مكانه، بل واصلَ التَّحديق إلى عينَي هاري منتظرًا اللَّكمة.

ولم تأتِ.

خفضَ هاري قبضته إلى جانبه بتؤدةٍ وهو لا يزال يَنظُر إلى كونر، وأخيرًا قال بهدوءٍ كأنه استنتجَ شيئًا: «نعم، كما حسبتُ».

ثم، مرَّةً أخرى، أتى الصَّوت المنذر بالويل.

كهولٌ على قدمين، تقدَّمت منهم المِس كوان عبر الفِناء منادية: «يا أولاد! الاستراحة انتهَت منذ ثلاث دقائق! ماذا تفعلون هنا حتى الآن؟!».

بصوتٍ اكتسبَ خفَّةً مفاجئةً خاطبَها هاري قائلًا: «آسفون يا

مِس. كنّا نُناقِش كونر في واجب كتابة الحياة الذي كلّفتنا به المسز مارل، ولم ننتبه للوقت»، وربّت على كتف كونر بقوّةٍ كأنهما طوال حياتيهما صديقان، وتابعَ: «لا أحد له خبرة بالقصص مثل كونر»، وأومأ برأسه بجدّيّة للمِس كوان مضيفًا: «والكلام عنها يُساعِد على إلهائه».

ردّت المِس كوان مقطّبةً وجهها: «نعم، كلام مقنع جدًّا. كلٌّ منكم عنده إنذار أول. مشكلة واحدة أخرى اليوم وستعاقَبون جميعًا بالحبس».

قال هاري ببشاشة: «نعم يا مِس»، وهمهمَ كلٌّ من أنتون وسُلي بالمثل، ثم مشوا عائدين إلى دروسهم وفي أعقابهم كونر فاصلًا نفسه عنهم بمسافة متر كامل.

قالت المِس كوان: «لحظة من فضلك يا كونر».

توقّف والتفتَ إليها، لكنه لم يرفع بصره إلى وجهها.

- «أأنت واثق بأن كلّ شيءٍ على ما يُرام بينك وبين هؤلاء الأولاد؟». ألقَت المِس كوان السّؤال محوِّلةً صوتها إلى وضعيّته «اللّطيفة»، وهي الوضعيّة الأقل مدعاةً للخوف بقليلٍ جدًّا من زعيقها الصّريح.

أجابَ كونر من دون أن يَنظُر إليها: «نعم يا مِس».

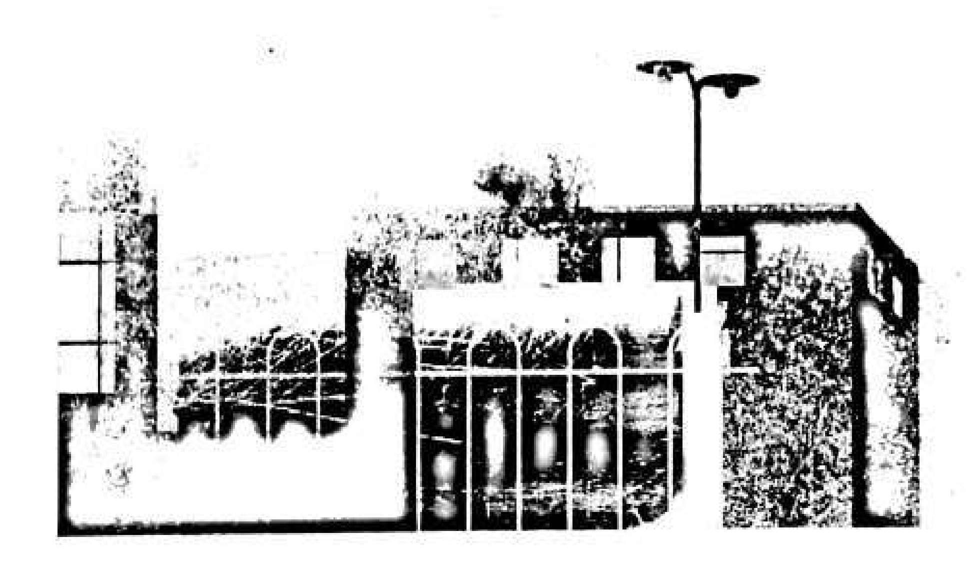
قالت: «لأنني لستُ معميّةً عن طبيعة هاري كما تعلم»، وتنهّدت

بضيقٍ مردفةً: «سيُصبح رئيس الوزراء على الأرجح يومًا ما. ليرحمنا الله جميعًا».

لم يُعلّق كونر، واتّخذ الصّمت طابعًا معيّنًا مألوفًا، تُشبِه الطّريقة التي يميل بها جسد المِس كوان إلى الأمام وارتخاء كتفيها واقتراب رأسها من رأسه.

وعلِمَ كونر ما ستقوله، علمَه وكرِهَه.

بصوتٍ شديد الهدوء، أقرب إلى الهمس، قالت: «لا يُمكنني أن أتخيَّل ما تمرُّ به يا كونر، لكن إن أردت أن نتكلَّم في أيِّ وقتٍ فبابي مفتوح دومًا».



لم يستطِع النَّظر إليها، لم يستطِع أن يرى فيه الاهتمام، أو يحتمل سماعه في صوتها.

(لأنه لا يستحقُّه).

(في داخله ومضَ الكابوس؛ الصُّراخ والفزع وما يَحدُث في النِّهاية

...).

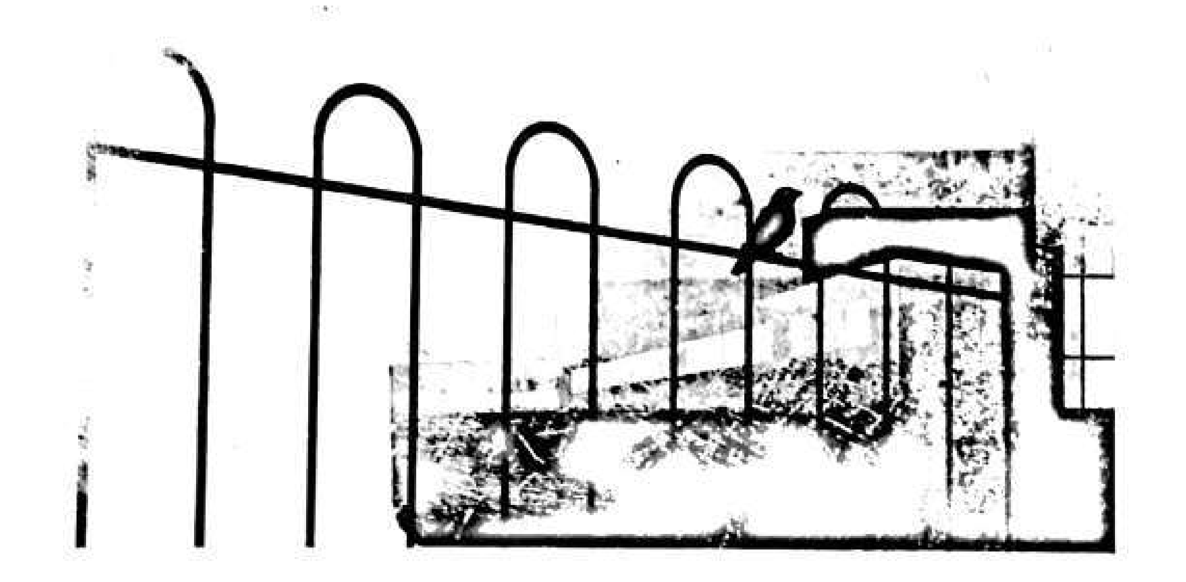
تمتمَ رامقًا حذاءه: «أنا بخير يا مِس. لستُ أمرُّ بشيء».

بعد ثانية سمعَ المِس كوان تتنهَّد مجدَّدًا، وتقول: «ليكن. انسَ الإنذار الأُول وعُد إلى الدَّاخل»، وربتَّت على كتفه مرَّةً قبل أن تقطع الفِناء من جديدٍ صوب الأبواب.

وللحظةٍ باتَ كونر بمفرده تمامًا.

وفي تلك اللَّحظة علمَ أن بإمكانه غالبًا أن يبقى بالخارج طوال اليوم الدِّراسي ولن يُعاقِبه أحَد.

وهو ما أشعرَه -بشكلٍ ما- بمزيدٍ من السُّوء.



محادثة صغيرة

بعد المدرسة، وجدَ جدَّته في انتظاره على الأريكة.

قبل حتى أن يُغلِق الباب بادرَته قائلةً: «علينا أن نتكلَّم»، وكانت على وجهها نظرة جعلَته يتوقَّف، نظرة جعلَت بطنه يؤلِمه.

سألَها: «ما الخطب؟».

أخذَت نفسًا طويلًا مسموعًا من أنفها ونظرَت من النَّافذة الأماميَّة كأنما تُهدِّئ نفسها، وقد بدَت مثل طائرٍ جارح، مثل بازٍ يمكنه أن يختطف خروفًا.

ثم إنها قالت: «يجب أن تعود أمُّك إلى المستشفى. ستأتي وتُقيم معي بضعة أيام. عليك أن تحزم حقيبةً».

لم يتحرَّك كونر من مكانه وهو يسألها: «ماذا بها؟».

اتَّسعت عينا جدَّته لثانيةٍ واحدة، كأنها لا تُصدِّق أنه ألقى سؤالًا جارف الغباء كهذا، قبلَ أن تلين وتُجيب: «الألم شديد، أشد مما ينبغي».

بدأ يقول: «عندها دواء للألم...»، إلَّا أن جدَّته صفَّقت بيديها مرَّةً واحدةً، ولكن بصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية ليَبتُر عبارته.

قالت بجفاف: «إنه لا يؤتي نتيجةً يا كونر»، وبدا كأنها تَنظُر فوق رأسه بدلًا من النَّظر إليه مباشرةً. «لا يُؤتي نتيجةً».

- «ما الذي لا يُؤتي نتيجةً؟».

نقرَت جدَّته يديها معًا برفق بضع مرَّات أخرى كأنها تختبرهما أو ما شابهَ، ثم عادَت تنظُر من النَّافذة وقد أطبقَت فمها بشدَّة.

وأخيرًا قامَت مركّزةً على تسوية فُستانها، وقالت: «أمُّك بالأعلى، ترُيد أن نتكلَّم معك».

- «ولكن...».

- «أبوك سيصل يوم الأحد».

شدَّ قامته متسائلًا: «بابا قادم؟!».

قالت: «عليَّ إجراء بعض المكالمات»، وخطَت متجاوزةً إياه وخرجَت من الباب الأمامي آخذةً معها هاتفها.

ناداها: «لماذا سيأتي بابا؟».

أجابَت جاذبةً الباب لتُغلِقه وراءها: «أمُّك تنتظرك».

ولم يجد كونر فُرصةً لمجرَّد وضع حقيبته.

أبوه قادم. أبوه. من أمريكا! أبوه الذي لم يأتِ منذ الكريسمس قبل الماضي، ويبدو أن ظرفًا طارئًا يحلُّ بزوجته الجديدة في اللَّحظة الأخيرة دومًا ليمنعه من تكرار زياراته أكثر، خاصَّةً الآن بعد مولد الطِّفلة الجديدة. أبوه الذي اعتادَ كونر غيابه إذ قلَّت زياراته وتباعدَت مكالماته الهاتفيَّة أكثر فأكثر.

أبوه قادم.

فلِمَ؟

ثم إنه سمعَ أمَّه تُناديه.

لم تكن في غُرفتها، بل في غُرفته، متمدِّدةً على فِراشه فوق اللِّحاف وتتطلَّع من النَّافذة إلى باحة الكنيسة أعلى الرَّبوة.

وإلى شجرة الطَّقسوس.

التي لا تتعدَّى مجرَّد شجرة طقسوس.

خاطبَته من حيث تمدَّد مبتسمةً: «أهلًا يا صغيري الجميل»، لكنه عرفَ من الهالات حول عينيها أنها تتألَّم حقًّا، تتألَّم كما رآها متألِّمةً مرَّةً واحدةً فقط من قبل. آنذاك أيضًا اضطرَّت للذَّهاب إلى المستشفى، ولم تَخرُج قبل انقضاء أسبوعينْ كاملينْ. كان ذلك في عيد الفِصح، وكادَ الأسبوعان اللذان أمضاهما مع جدَّته يُفضيان إلى موته وموتها.

سألَها: «ما الأمر؟ لماذا ستعودين إلى المستشفى؟»، فربَّتت على اللِّحاف إلى جوارها مشيرةً إليه بأن يأتي ويجلس، غير أنه بقيَ في مكانه قائلًا: «ما الخطب؟».

ظلَّت مبتسمةً لكن ابتسامتها اكتسبَت توتُّرًا، ومرَّرت أصابعها على الخيوط التي يتألَّف منها نقش اللِّحاف، الدِّببة الشَّهباء التي كبرَ كونر عليها قبل أعوام. كانت قد ربطَت وشاحها المنقوش بالورد الأحمر

حول رأسها وإن أبقَته فضفاضًا، فرأى فروة رأسها الشَّاحبة من تحته. لم يَخطُر له أنها ستتظاهَر مجرَّد تظاهُر بتجربة إحدى باروكات جدته القديمة.

قالت: «سأكونُ بخير، حقًّا».

- «فعلًا؟».

ردَّت: «لقد مررنا بهذا من قبل يا كونر، فلا تقلق إذن. سبقَ أن شعرت بتوعُّك شديد فذهبت إلى المستشفى واعتنوا بي. هذا هو ما سيَحدُث هذه المرَّة أيضًا»، وربَّتت على اللِّحاف ثانيةً مردفةً: «ألن تأتي وتجلس إلى جانب أمِّك المتعَبة؟».

ابتلعَ كونر ريقه، لكنه رأى ابتسامتها أكثر إشراقًا الآن، وأدركَ أنها حقيقيَّة كذلك. هكذا ذهبَ وجلسَ إلى جوارها على الجانب المقابل للنَّافذة، ومرَّرت هي يدها عبر شعره مزيحةً إياه عن عينيه، في حين لاحظَ هو كم نحلَت ذراعها حتى كادَت تُصبح جلدًا على عظم.

سألَها: «لماذا سيأتي بابا؟».

كفَّت أمُّه عن العبث في شعره، ثم وضعَت يدها في حجرها قائلةً: «مرَّت فترة طويلة منذ رأيته. ألست متحمِّسًا؟».

- «جدَّتي لا تبدو مسرورةً».

قالت ساخرةً: «أنت تعلم شعورها نحو أبيك. لا تُصغِ إليها واستمتع

بزيارته».

جلسا صامتيْن بعض الوقت، وأخيرًا قال كونر: «هناك شيء آخَر، أليس كذلك؟».

أحسَّ بأمِّه تعتدل بعض الشَّيء على وسادتها وهي تقول برفق: «انظُر إليَّ يا بُني».

التفتَ برأسه ناظرًا إليها، ولو أنه كان ليدفع مليون جنيه كي لا يضطرَّ لهذا.

- «هذا العلاج الأخير لم يأتِ بالنَّتيجة المرجوَّة. كلُّ ما يعنيه هذا أنهم سيُعدِّلونه، يُجرِّبون شيئًا آخَر».

- «أهذا كلُّ شيء؟».

أومأت برأسها مجيبةً: «هذا كلُّ شيء. هناك أشياء كثيرة أخرى يُمكنهم فعلها. أمر طبيعي. لا تقلق».

- «متأكِّدة؟».

- «متأكِّدة».

قال كونر: «لأن...»، وتوقَّف لحظةً ورمقَ الأرض وهو يُواصِل: «لأن بإمكانكِ أن تُخبِريني».

وعندها أحسَّ بذراعها تُطوِّقه، ذراعها بالغة النُّحول التي كانت من قبل شديدة النُّعومة حين تُعانِقه. لم تقل شيئًا وظلَّت تحتضنه، وعادَ هو

يَنظُر من النَّافذة، وبعد لحظةٍ التفتَت أمُّه لتَنظُر أيضًا.

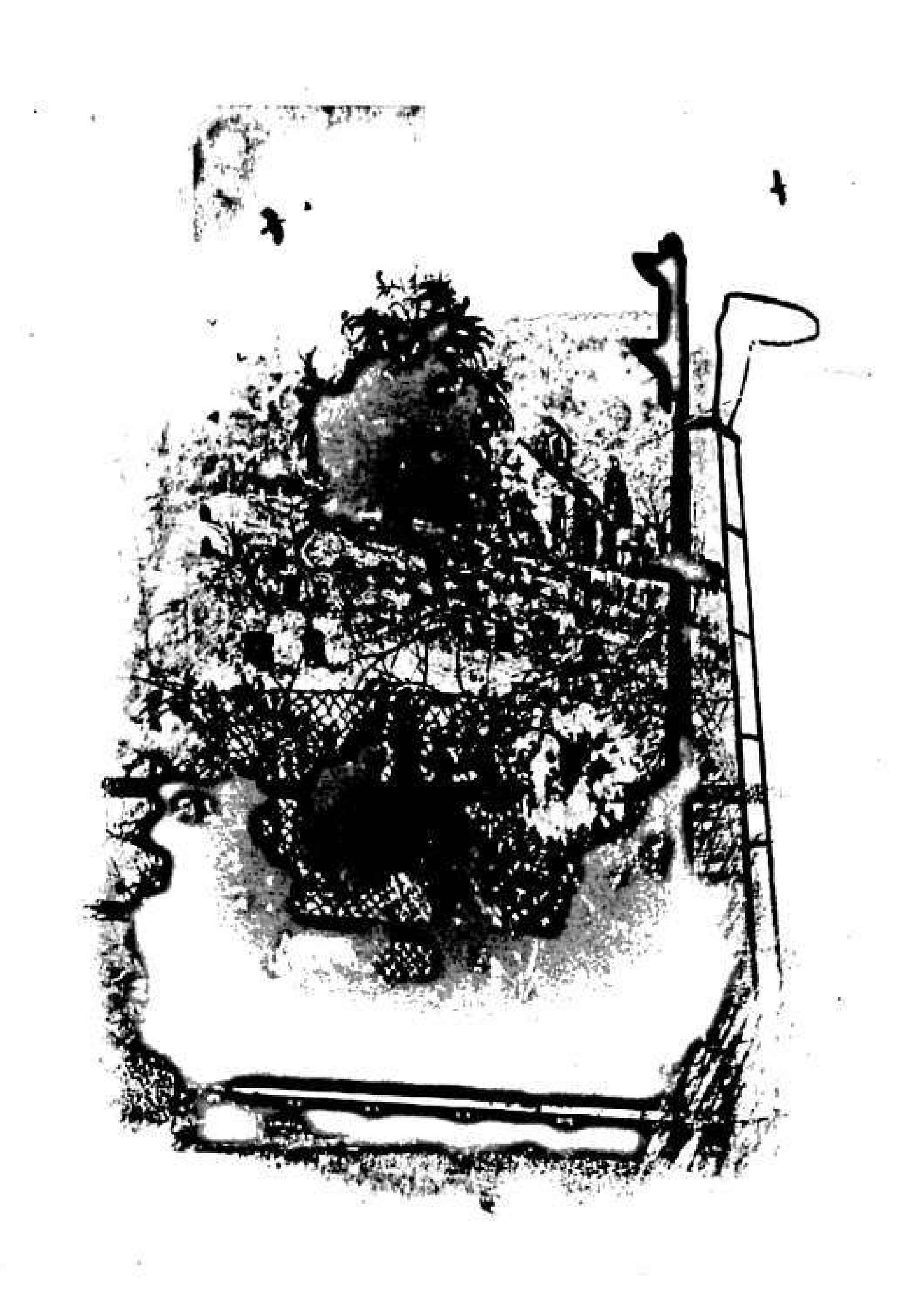
وأخيرًا قالت: «هذه شجرة طقسوس».

دوَّر كونر عينيه في محجريهما، ولكن ليس استهجانًا، وقال: «نعم يا ماما، لقد أخبرتِني مئة مرَّة».

- «أبقِ عينك عليها في غيابي، اتَّفقنا؟ احرص على أن تكون هنا عندما أعودُ».

وعرفَ كونر أن هذه طريقتها لإخباره بأنها عائدة، فاكتفى بالإيماء برأسه وظلَّ الاثنان يتطلَّعان إلى الشَّجرة.

التي بقيَت شجرةً مهما ظلَّا يتطلَّعان.



منزل الجدَّة

خمسة أيام. الوحش لم يأتِ منذ خمسة أيام.

ربما يجهل أين تعيش جدَّته، وربما تكون المسافة أبعد من أن يأتي. ليس عند جدَّته حديقة بالمعنى المعروف على كلِّ حال، على الرغم من أن منزلها أكبر كثيرًا من منزل كونر وأمِّه. إنها تُتخِم حديقتها الخلفيَّة بالسَّقائف وبركةٍ حجريَّة، علاوةً على «مكتبٍ» من ألواح الخشب أقامَته في النِّصف الخلفي، وتُمارِس فيه أغلب أعمال سمسرة العقارات، تلك الوظيفة المملَّة لدرجة أنَّ كونر لم يُنصِت قَطُّ لأكثر من الجُملة الأولى من وصفها لها. كلُّ شيءٍ آخَر عبارة عن ممرَّاتٍ من القرميد وزُهورٍ في أُصص، ولا مكان لشجرٍ على الإطلاق، حتى إن الحديقة تخلو من العُشب!

قالت جدَّته مائلةً من الباب الخلفي وهي تُثبِّت فردة قرطها: «لا تقف عندك محملقًا هكذا يا فتى. سيصل أبوك قريبًا، وأنا ذاهبةٌ لرؤية أمِّك».

ردَّ كونر: «لم أكن أحملقُ».

- «وما علاقة هذا بالأمر؟ ادخُل».

قالتها واختفَت داخل المنزل، وجرَّ كونر قدميه في أعقابها. إنه الأحد، اليوم الذي سيصل فيه أبوه من المطار. سيأتي إلى هنا ويأخذ كونر ليذهبا لزيارة أمِّه في المستشفى، وبعدها سيقضيان القليل من

وقت «الأب وابنه» معًا. كان كونر شبه واثقٍ بأن التَّعبير ما هو إلَّا رمز لجولةٍ أخرى من «علينا أن نتكلَّم».

لن تكون جدَّته هنا عندما يصل أبوه، وهو ما يُناسِب الجميع.

قالت متجاوزةً إياه لتلتقط حقيبتها: «خُذ حقيبتك من الرَّدهة الأماميَّة من فضلك. لا داعي لأن يحسبني أُسكِنك في زريبة خنازير».

تمتمَ كونر إذ ذهبَت إلى مرآة الرَّدهة لتلقي نظرةً على طلاء شفتيها: «مستبعَد للغاية».

منزل جدَّته أنظف من غُرفة أمِّه في المستشفى. تأتي عاملة النَّظافة مارتا كلَّ أربعاء، لكن كونر لم يرَ لِمَ تُجشِّم نفسها هذا العناء، فجدَّته تستيقظ في الصَّباح الباكر لتُنظِّف الأرض بالمكنسة الكهربائيَّة، وتُشغِّل غسَّالة الملابس أربع مرَّات في الأسبوع، وفي مرَّة نظَّفت حوض الاستحمام في منتصف اللَّيل قبل أن تَخلُد إلى النَّوم، كما أنها لا تَترُك أطباق العَشاء تلمس الحوض في طريقها إلى غسَّالة الأطباق، إلى الحدِّ الذي جعلَها مرَّةً تأخذ طبقًا لم يزل كونر يأكل منه.

مرَّةً على الأقل في اليوم تقول جدَّته: «امرأة في سنِّي تعيش وحدها، إن لم أتولَّ أموري أولًا بأول، فَمَن سيفعل؟».

تقولها كأنه تحدٍّ، كأنها تتحدَّى كونر أن يردَّ عليها.

تقلُّه جدَّته إلى المدرسة، التي يصل إليها مبكِّرًا كلَّ يومٍ رغم أن

الرِّحلة تستغرق خمسًا وأربعين دقيقةً، وكذلك يجدها تنتظره بعد المدرسة كلَّ يوم، لتأخذه مباشرةً إلى المستشفى ليريا أمَّه. هناك يبقيان ساعةً تقريبًا، أو أقل إن كانت أمُّه أشد تعبًا من أن تتكلَّم -وهو ما حدثَ مرَّتين في الأيام الخمسة الماضية- ثم يعودان إلى منزل الجدَّة، حيث تجعله يُؤدِّي واجبه المنزلي فيما تَطلُب أيَّ نوعٍ من الطَّعام لم يأكلاه منذ مدَّة.

الأمر أشبه بالمرَّة التي أقامَ فيها كونر وأمُّه في نُزل مبيت وإفطار في كورنوول ذات صيف، مع فرق أنه أنظف، وأشد تزمُّتًا.

ارتدَت جدَّته سُترة بذلتها قائلةً: «والآن يا كونر...». إنه يوم الأحد، لكن لا منازل تعرضها اليوم، ولذا لم يفهم لِمَ تتأنَّق هكذا لمجرَّد أن تذهب إلى المستشفى، وارتاب في أن لهذا على الأرجح علاقةً بإشعار أبيه بعدم الارتياح.

تابعَت: «قد لا يلحظ أبوك قدر الإرهاق الذي يُصيب أمَّك، مفهوم؟ لذلك علينا أن نعمل معًا لنتأكَّد من أنه بقاءه لن يطول»، وعادَت تتفقَّد نفسها في المرآة، وخفضَت صوتها مضيفةً: «مع أن تلك لم تكن مشكلةً قَطُّ»، ثم التفتَت إليه ولوَّحت له بيدها باسطةً أصابعها عن آخرِها وهي تقول: «كُن مهذَّبًا».

وانغلقَ الباب وراءها، وأصبحَ كونر وحده في منزلها.

صعدَ إلى غُرفة الضُّيوف التي ينام فيها. تصرُّ جدَّته على تسميتها «غُرفته»، غير أنه لا يُسمِّيها إلَّا غُرفة الضُّيوف، وهو ما يجعل جدَّته

تهزُّ رأسها دومًا وتُهَمهِم لنفسها.

ولكن ماذا توقَّعت؟ إنها لا تبدو كغُرفته، بل لا تبدو كغُرفة أيِّ أحد، وبالتَّأكيد ليس كغُرفة صبي. الجُدران بيضاء عارية، اللهم إلَّا من ثلاث صُور مطبوعة مختلفة لسُفنٍ مبحرة، وهذا على الأرجح أقصى ما يَبلُغه تفكير جدَّته في ما قد يُعجِب الأولاد. ملاءات السَّرير وكسوة اللِّحاف لونها أبيض ناصع مُعمٍ أيضًا، وقطعة الأثاث الأخرى الوحيدة في الغُرفة عبارة عن خزانة من خشب السِّنديان، كبيرة بما فيه الكفاية لأن يجلس فيها ويتناول غداءه.

من الممكن أن تكون هذه غُرفةً في أيِّ منزلٍ على أيِّ كوكبٍ في أيِّ مكان. إنه لا يحبُّ البقاء فيها، ولو حتى للهرب من جدَّته، ولم يَدخُلها الآن إلَّا ليأخذ كتابًا، بما أن جدَّته تحظر ألعاب الكمبيوتر المحمولة في منزلها. تناولَ كتابًا من حقيبته واتَّجه نحو الباب، وبينما يتحرَّك ألقى نظرةً من النَّافذة على الحديقة الخلفيَّة.

لا شيء غير الممرَّات الحجريَّة والسَّقائف والمكتب.

لا شيء يُبادِله النَّظر.

حُجرة الجلوس واحدة من حُجرات الجلوس إياها التي لا يجلس فيها أحد حقًّا. ليس مسموحًا لكونر بدخولها في أيِّ وقت، خشية أن يُوسِّخ كسوة الأثاث بشكلٍ ما، ولهذا اختارَها تحديدًا بالطَّبع ليقرأ كتابه ريثما ينتظر أباه.

استرخى على أريكة جدَّته ذات الأرجُل الخشب المقوَّسة الرَّفيعة

لدرجةٍ تجعلها تبدو كأنما تنتعل أحذيةً بكعوبٍ عالية، والتي تُقابِلها

خزانة زجاجيَّة الواجهة ملأى بأطباقٍ موضوعة على خوامل عرض،

وأقداح شايٍ مزخرفة بالكثير من الخطوط الملتوية، التي

تجعل الشُّرب منها من دون أن تجرح شفتيك أعجوبةً.

فوق رفِّ المدفأة تُعلّق جدَّته ساعتها القيِّمة التي لا يُمكن لأحدٍ

غيرها أن يلمسها. كانت قد ورثَتها

عن أمّها، ومنذ سنوات نتوعّد بعرضها في برنامج «أنتيكس رودشو»

لتُثمِّنها. للسَّاعة بندول أصليٍ يتأرجَح أسفلها، وتدقُّ أيضًا كلَّ خمس

عشرة

دقيقةً بصوتٍ مدوٍّ يجعلك تقفز من مكانك إن لم تكن نتوقَّع ذلك.



الحُجرة كلُّها مثل متحفٍ يعرض طريقة حياة النَّاس

قديمًا، وليس فيها تليفزيون حتى، فهذا موضوع في المطبخ ويكاد لا يُفتَح تقريبًا.

هكذا قرأ، فما الذي بيده أن يفعله خلاف هذا؟

كان يأمل أن يتكلَّم مع أبيه قبل أن يُسافِر، ولكن مع زيارات المستشفى وفرق التَّوقيت ونوبات الصُّداع النّصفي التي «تتصادَف» إصابة الزَّوجة الجديدة بها، لم يَعُد بإمكانه إلَّا أن يراه عندما يأتي.

متى أتى. رمقَ كونر السَّاعة ذات البندول لتُخبِره بأنها الثَّانية عشرة واثنان وأربعون دقيقةً. ستدقُّ بعد ثلاث دقائق.

ثلاث دقائق هادئة خاوية.

أدركَ أنه في الحقيقة متوتِّر. لقد مضى وقت طويل منذ رأى أباه

شخصيًّا وليس عبر برنامج سكايب فقط. هل سيبدو مختلفًا؟ هل سيبدو هو مختلفًا؟

ثم إن هناك الأسئلة الأخرى. لِمَ يأتي الآن تحديدًا؟ أُمُّه لا تبدو في أفضل حال، بل تبدو أسوأ بعد قضاء خمسة أيام في المستشفى، لكنها لا تزال تأمل خيرًا في الدَّواء الجديد الذي تأخذه. ما زالَ الكريسمس يَبعُد شهورًا، وعيد مولده مرَّ بالفعل، فلِمَ الآن؟

نظرَ إلى أرضيَّة الحُجرة التي تُغطِّي منتصفها سجَّادة بيضاويَّة ثمينة للغاية عتيقة الشَّكل للغاية، ومدَّ يده يرفع طرفها متطلِّعًا إلى الألواح المصقولة من تحتها. رأى في أحدها عُقدةً فتحسَّسها بأصابعه، لكن اللَّوح شديد القِدم والنُّعومة حتى إنك لا تستطيع التَّمييز بين العُقدة وبقيَّته.

همسَ كونر: «أأنت هناك؟».

ثم قفزَ من مكانه إذ رنَّ جرس الباب، فأسرعَ ينهض ويَخرُج من حُجرة الجلوس شاعرًا بحماسةٍ أشد مما ظنَّ أنه سيشعُر، وفتحَ الباب الأمامي.

وها هو ذا أبوه، يبدو مختلفًا تمامًا وفي الوقت نفسه لم يتغيَّر فيه شيء.

قال أبوه: «أهلًا يا بُني»، وقد التوى صوته بتلك الطَّريقة الغريبة التي بدأت أمريكا تُشكِّله بها.

وارتسمَت على وجه كونر ابتسامةٌ أوسع من ابتساماته كلِّها طوال

عامٍ على الأقل.

يا بطل

سألَه أبوه وهما ينتظران أن تجلب لهما النَّادلة البيتزا: «كيف حالك يا بطل؟».

ردَّد كونر رافعًا حاجبه بريبة: «بطل؟!».

قال أبوه مبتسمًا بخجل: «آسف. أمريكا لُغة مختلفة تمامًا تقريبًا».

- «كلَّما كلَّمتك وجدتُ صوتك أغرب».

غمغمَ أبوه بكلمةٍ بلا معنى، وداعبَ كأس نبيذه بتململٍ قائلًا: «يسرُّني أن أراك».

أخذَ كونر رشفةً من الكولا. كانت أُمُّه في حالةٍ سيِّئة حقًّا عندما وصلا إلى المستشفى، واضطرَّا لانتظار جدَّته إذ ساعدَتها على الخروج من الحمَّام، ثم لم يُمكِّنها إعياؤها البالغ إلَّا من أن تقول «أهلًا يا حبيب قلبي» لكونر، و«مرحبًا يا ليام» لأبيه، قبل أن تغيب في النَّوم، وبعد لحظات قادَتهما جدَّته إلى خارج الغُرفة وعلى وجهها نظرة حالَت دون أن يُناقِشها أبوه نفسه.

والآن يقول أبوه مضيِّقًا عينيه من غير أن يَنظُر إلى شيءٍ بعينه: «أمُّك، آه، إنها مُقاتلة، أليس كذلك؟».

اكتفى كونر بهزِّ كتفيه.

- «وكيف حالك أنت يا كون؟».

- «سألتني عن هذا ثمانمئة مرَّة تقريبًا منذ وصولك».

- «آسف».

قال كونر: «أنا بخير. ماما تأخذ الدَّواء الجديد. سيجعلها تتحسَّن. حالتها تبدو سيِّئةً، لكنها بدَت سيِّئةً من قبل. لماذا يتصرَّف الجميع كأن...»، وبترَ عبارته وأخذَ رشفةً أخرى من الكولا.

قال أبوه: «أنت محق يا بُني، محق تمامًا»، ودوَّر كأس النَّبيذ مرَّةٍ ببُطءٍ على الطَّاولة متابعًا: «ومع ذلك عليك أن تتحلَّى بالشَّجاعة من أجلها يا كون. عليك أن تكون شُجاعًا جدًّا جدًّا من أجلها».

- «نتكلَّم كالتليفزيون الأمريكي».

ضحكَ أبوه بهدوء، وقال: «أختك بخير، على وشك أن تمشي».

- «أختي غير الشَّقيقة».

- «لا أستطيعُ الانتظار حتى تُقابِلها. يجب أن نُرتِّب زيارةً لك قريبًا، ربما في الكريسمس المقبل. هل تودُّ هذا؟».

نظرَ كونر في عينَي أبيه متسائلًا: «وماذا عن ماما؟».

- «لقد تكلَّمتُ مع جدَّتك، ويبدو أنها لا تحسبها فكرةً سيِّئةً ما دُمنا سنُعيدك في الوقت المناسب للفصل الدِّراسي الجديد».

مرَّر كونر يده على حافة الطَّاولة قائلًا: «ستكون مجرَّد زيارةٍ إذن؟».

سألَه أبوه وقد بدَت فِي نبرته الدَّهشة: «ماذا تعني؟ مجرَّد زيارةٍ على خلاف...»، ثم إنه صمتَ، وعلمَ كونر أنه تبيَّن ما يعنيه. «كونر...».

على أن كونر وجدَ نفسه فجأةً لا يُريده أن يتمَّ قوله، فشرَع يتكلَّم بسرعةٍ وقد بدأ يُقشِّر الرُّقعة الملصوقة بزجاجة الكولا: «هناك شجرة تزورني منذ مُدَّة، تأتي إلى المنزل ليلًا وتحكي لي قصصًا».

حدَّق إليه أبوه حائرًا، وقال: «ماذا؟!».

واصلَ كونر خادشًا الرُّقعة بظُفر إبهامه: «في البداية حسبته حُلمًا، لكنني ظللتُ أَجد أوراق شجر عندما أستيقظُ، وأشجارًا صغيرةً تنبت من الأرضيَّة. خبَّأتها كلَّها لكي لا يعرف أحد».

- «كونر...».

- «الشَّجرة لم تأتِ إلى منزل جدَّتي بعدُ. أظنُّ السَّبب أن جدَّتي تعيش بعيدًا...».

- «عمَّ تتكـ...».

- «لكن لِمَ يهمُّ هذا إن كان الأمر كلُّه حُلمًا؟ لِمَ لا يستطيع حُلم أن يمشي عبر البلدة؟ ليس إن كان قديمًا قِدم الأرض وكبيرًا كِبر العالم...».

- «كونر، كفى...».

- «لا أريدُ أن أقيم مع جدَّتي». قالها كونر وقد اكتسبَت نبرته قوَّةً مباغتةً وأفعمَتها غلظة شعرَ كأنها ستَخنُقه، وأبقى عينيه مركَّزتين بشدَّةٍ

على رُقعة زجاجة الكولا وظُفر إبهامه الذي يكشط الورقة المبتلَّة وهو يسأل: «لِمَ لا يُمكنني المجيء للإقامة معك؟ لِمَ لا يُمكنني الذَّهاب إلى أمريكا؟».

لعقَ أبوه شفتيه قائلًا: «تعني حينما...».

- «منزل جدَّتي منزل سيِّدةٍ عجوز».

أطلقَ أبوه ضحكةً صغيرةً أخرى، وقال: «سأحرصُ على إخبارها بأنك دعوتها بالسيِّدة العجوز».

قال كونر: «لا يُمكنَك أن تلمس شيئًا هناك أو تجلس في أيِّ مكان، ولا يُمكنك أن تَترُك شيئًا غير مرتَّب ولو لثانيتين فقط. ثم إن لديها إنترنت في مكتبها فقط، وغير مسموحٍ لي بدخوله».

- «أنا واثق بأننا نستطيع الحديث معها عن هذه الأشياء. أنا واثق بأن هناك مساحةً كبيرةً لجعل الأمر أسهل وجعلك مستريحًا هناك».

ردَّ كونر رافعًا صوته: «لا أريدُ أن أكون مستريحًا هناك! أريدُ غُرفتي التي في منزلي أنا».

- «لن يتسنَّى لك ذلك في أمريكا. المساحة تكفي ثلاثتنا بالكاد يا كون، أمَّا جدَّتك فتملك مالًا أكثر ومساحةً أكبر كثيرًا منا. ثم إن مدرستك هنا، أصدقاءك هنا، حياتك كلَّها هنا. لن يكون عدلًا أن نأخذك من كلِّ هذا».

سألَه كونر: «لن يكون عدلًا لمَن؟».

تنهَّد أبوه، وقال: «هذا هو ما قصدته، هذا هو ما قصدته عندما قلتُ إن عليك أن تتحلّى بالشَّجاعة».

- «هذا ما يقوله الجميع، كأن له معنًى».

- «أنا آسف. أعلمُ أن الوضع يبدو غير عادل، وأتمنَّى لو كان مختلفًا...».

- «حقًّا؟».

أجابَ أبوه: «بالطَّبع!»، ومالَ من فوق الطَّاولة مردفًا: «لكن هذا أفضل ترتيب. سترى».

ازدردَ كونر لُعابه مواصلًا تحاشي النَّظر إليه، ثم عادَ يزدرد قبل أن يقول: «أيمكننا أن نتكلَّم عن هذا أكثر عندما تتحسَّن ماما؟».

بتؤدةٍ جلسَ أبوه ثانيةً، وقال: «بالطَّبع يُمكننا يا صاحبي. هذا هو ما سنفعله بالضَّبط».

نظرَ إليه كونر مرَّةً أخرى مردِّدًا: «صاحبي؟!».

قال أبوه مبتسمًا: «آسف»، ورفعَ كأسه وأخذَ رشفةً طويلةً بما فيه الكفاية لإفراغِ النَّبيذ كلّه في جوفه، ثم وضعَ الكأس مطلقًا شهقةً صغيرةً، وحدجَ كونر بنظرة تساؤلٍ قائلًا: «ما الذي كنت تقوله عن شجرة؟».

إلَّا أن النَّادلة أتَت وسادَ الصَّمت إذ وضعَت البيتزا أمامهما، ثم قال كونر ناظرًا إلى فطيرته وقد قطَّب وجهه: «أمريكانو. لو كانت تستطيع

الكلام، أكانت لتتكلَّم بلكنتك يا تُرى؟»،

الأمريكان لا يحصُلون على عُطلاتٍ كثيرة

قال أبو كونر متوقِّفًا بالسيَّارة المستأجَرة أمام منزل جدَّته: «لا يبدو أنها عادَت بعدُ».

- «أحيانًا ترجع إلى المستشفى بعدما أنامُ».

أومأ أبوه برأسه قائلًا: «ربما لا تحبُّني جدَّتك، لكن هذا لا يعني أنها امرأة سيِّئة».

نظرَ كونر من النَّافذة إلى منزلها سائلًا: «كم ستبقى هنا؟». كان يخشى إلقاء السؤال قبل الآن.

أطلقَ أبوه زفيرًا طويلًا من النَّوع الذي يُخبرك بأن في الطَّريق خبرًا سيِّئًا، وأجابَ: «للأسف لا أستطيعُ البقاء إلَّا أيامًا قليلةً».

قال كونر ملتفتًا إليه: «فقط؟!».

- «الأمريكان لا يَحصُلون على عُطلاتٍ كثيرة».

- «أنت لست أمريكيًّا».

ردَّ أبوه: «لكنني أعيشُ هناك الآن»، وابتسمَ ابتسامةً واسعةً مردفًا: «أنت الذي قضيت اللَّيلة بأكملها تتهكَّم على لكنتي».

- «لماذا جئت إذن؟ لماذا كلَّفت نفسك المجيء؟».

انتظرَ أبوه لحظةً قبل أن يُجيب: «جئتُ لأن أمَّك طلبَت مني هذا»، وبدا كأنه سيقول المزيد، غير أنه لم يفعل.

ولم يقل كونر شيئًا كذلك.

قال أبوه: «لكنني سأعودُ، عندما تكون هناك ضرورة لعودتي»، وأضافَ بنبرةٍ أكثر بهجةً: «وستزورنا أنت في الكريسمس! سنقضي وقتًا ممتعًا».

- «في منزلكم الضيّق حيث لا مكان لي».

- « كونر...».

- «وبعدَها أعودُ من أجل المدرسة».

- « كون...».

بصوتٍ خفيض سألَه كونر ثانيةً: «لماذا جئت؟».

لم يُجِبه أبوه، وخيَّم على السيَّارة صمت جعلَ كأن بينهما أخدودًا واسعًا يجلسان متواجهين عبره، ثم مدَّ أبوه يده إلى كتفه، إلَّا أن كونر تملَّص منها وجذبَ مقبض الباب ليَخرُج.

- « كونر، انتظِر!».

وانتظرَ كونر، لكنه لم يلتفت.

- «أتُريدني أن أدخل معك حتى تعود جدَّتك؟ على سبيل الصُّحبة؟».

ردَّ كونر: «أنا بخير بمفردي»، وغادرَ السيَّارة.

وجدَ المنزل هادئًا عندما دخلَ. ولِمَ لا؟

إنه وحده.

مرَّةً أخرى ألقى نفسه على الأريكة الثَّمينة مصغيًا لصريرها إذ سقطَ عليها، وبثَّ فيه الصَّوت رضًى بالغًا حتى إنه نهضَ وعادَ يُلقي نفسه عليها، ثم نهضَ من جديدٍ وقفزَ على الأريكة، لتئنَّ الأرجُل الخشبيَّة وهي تتزحزح بِضع بوصاتٍ على الأرض تاركةً أربعة خدوشٍ متماثلةً في الخشب الصُّلب.

وابتسمَ كونر لنفسه. لكم هو شعور طيِّب!

وثبَ من فوق الأريكة وركلَها ليدفعها إلى الخلف أكثر. كان بالكاد يعي أن تنفُّسه ثقيل جدًّا، وأحسَّ في رأسه بحرارةٍ أقرب إلى الحُمَّى. رفعَ قدمه ليَركُل الأريكة ثانيةً.

ثم إنه رفعَ عينيه ورأى السَّاعة.

ساعة جدَّته الغالية، المعلَّقة فوق رفِّ المدفأة ويتأرجَح بندولها جيئةً وذهابًا، جيئةً وذهابًا، كأنه ماضٍ في حياته السرِّيَّة الخاصَّة ولا يُبالي بكونر على الإطلاق.

على مهلٍ دنا منها وقد ضمَّ قبضتيه. لحظة واحدة قبل أن تدقَّ بونج بونجٍ بونج لتُعلِن تمام التَّاسعة. وقفَ كونر حتى انزلقَ عقرب الثَّواني وبلغ ١٢، وفي اللَّحظة التي كانت ستبدأ فيها الدقَّات مدَّ يده وقبضَ على البندول مثبِّتًا إياه في أعلى نقاط أرجحته.

سمعَ آليَّة السَّاعة تُعرِب عن اعتراضها إذ حامَت الـ«ب» الأولى من

البونج المقطوعة في الهواء، وبيده الحُرَّة دفعَ عقربَيِ الدَّقائق والثَّواني إلى بعد ١٢. قاوَماه، لكنه شدَّد الدَّفع ليسمع تكَّةً مرتفعةً لم تبدُ له جيِّدةً على نحوٍ خاص. وفجأةً تحرَّر عقربا الدَّقائق والثَّواني مما كان يُثبِّتهما، ودوَّرهما كونر ليلحقا بعقرب السَّاعات، ثم أخذَه معهما سامعًا المزيد من أنصاف الدقَّات المعترضة والتكَّات المتألِّمة من جوف العُلبة الخشبيَّة.

أحسَّ بقطراتٍ من العَرق تتجمَّع على جبهته، وشعرَ بصدره كأنما يتوهَّج من الحرارة.

(-شعور أشبه بكونه داخل الكابوس؛ الغشاوة المحمومة نفسها إذ يختلُّ محور العالم، ولكن هذه المرَّة هو المتحكِّم، هذه المرَّة هو الكابوس-).

وفجأةً انكسرَ عقرب الثَّواني، أرفع الثَّلاثة، وسقطَ من وجه السَّاعة بالكامل، ليرتدَّ عن السجَّادة مرَّةً ويختفي وسط رماد المدفأة.

أسرعَ كونر يتراجَع متخلِّيًا عن البندول، ليَسقُط عائدًا إلى نُقطته المركزيَّة من دون أن يعاوِد الأرجحة، ولا أصدرَت السَّاعة مزيدًا من أصوات الطَّنين أو التَّكتكة التي تُصاحِب دورانها عادةً، وقد تجمَّد العقربان المتبقِّيان في مكانهما تمامًا.

تبًّا!

بدأت معدة كونر تنقبِض إذ أدركَ ما فعلَه.

وفكّر: أوه، لا.

أوه، لا!

لقد أتلفَها.

السّاعة التي يتجاوَز ثمنها غالبًا ثمن سيّارة أمّه المتهالكة.

ستفتك به جدّته، بل وقد تَقتُله حرفيًّا فعلًا.

ثم إنه لاحظَ.

عقربا السّاعات والدّقائق توقّفا عند وقتٍ محدّد.

.١٢:٠٧

وقال الوحش من ورائه: *بالنّسبة إلى الدّمار، فهذا كلّه تافهٌ بحق.*

أسرعَ كونر يدور على عقبيْه. بشكلٍ ما، بوسيلةٍ ما، الوحش هنا في حُجرة جلوس جدّته. حجمه ضخم للغاية بالطّبع، ولذا فعليه الانحناء على ارتفاعٍ واطئ جدًّا كي يجد لنفسه مساحةً تحت السّقف، وقد التوَت فروعه وأوراقه على أنفُسها بشدّة أكثر فأكثر لتجعله أصغر حجمًا، ولكن ها هو ذا هنا، يملأ جسمه كلّ رُكنٍ من المكان.





قال الوحش لتُطيِّر أنفاسه شعر كونر: *إنه نوع الدَّمار الذي أتوقَّعه من ولدٍ صغير.*

سألَ كونر: «ماذا تفعل هنا؟»، وشعرَ بدفقة مباغتة من الأمل، فتابعَ: «أأنا نائم؟ أهذا حُلم؟ مثل المرَّة التي حطَّمت فيها نافذة غُرفتي وصحوتُ و...».

قاطعَه الوحش: *أتيتُ لأحكي لك الحكاية الثَّانية.*

أصدرَ كونر صوتًا ساخطًا، ونظرَ وراءه إلى السَّاعة المكسورة سائلًا بشرود: «هل ستكوَن سيِّئةً مثل السَّابقة؟».

- *الحكاية تنتهي بدمارٍ شامل، إن كان هذا ما تعنيه.*

التفتَ كونر إلى الوحش مجدَّدًا، ليرى وجهه وقد أعادَ ترتيب نفسه ليرتسم عليه التَّعبير الذي تعرَّف فيه كونر الابتسامة الشّرِيرة.

- «أهي قصَّة خادعة؟ هل سيبدو أنها تمضي في مسارٍ ما ثم تنحرف في مسارٍ آخَر؟».

أجابَ الوحش: *لا. إنها حكايةٌ عن رجلٍ لم يُفكّر إلَّا في نفسه*، وابتسمَ ثانيةً ليبدو أشد شرًّا وهو يُضيف: *وينال عقابًا شنيعًا جدًّا.*

وقفَ كونر يلتقط أنفاسه لحظةً مفكّرًا في السَّاعة التَّالفة، والخدوش في الخشب الصُّلب، والتُّوت السَّام الذي يتساقَط من الوحش على أرضيَّة جدَّته النَّظيفة.

ومفكِّرًا في أبيه.

ثم إنه قال: «أنا مصغٍ».

الحكاية الثَّانية

بدأ الوحش يحكي: قبل مئة وخمسين عامًا تحوَّل هذا البلد إلى الصّناعة. نبَتت المصانع في أراضي الرّيف كما الحشائش، وتساقطَت الأشجار، وجُرِّفت الحقول، واسودّت الأنهار، واختنقَت السَّماء بالدُّخان والرَّماد، ومعها اختنقَ النَّاس ليقضوا أيامهم يَسعُلون ويحكُّون أجسادهم، وقد طأطأت أبصارهم إلى الأرض للأبد. نمت القُرى فصارَت بلدات، والبلدات صارَت مُدنًا، وبدأ النَّاس يعيشون فوق الأرض بدلًا من بين ثناياها.

لكن الخُضرة بقيت، إن كنت تعرف أين تبحث عنها.

(مرّةً أخرى فتحَ الوحش يديه، فتدفَّق الضَّباب عبر حُجرة الجلوس في منزل الجدَّة، ولمَّا انقشعَ كان كونر والوحش يقفان في حقلٍ أخضر يطلُّ على وادٍ من المعدن والقرميد).

(غمغمَ كونر: «أنا نائم إذن»).

(قال الوحش: *صمتًا. ها هو ذا*، ورأى كونر رجلًا كئيب المنظر يرتدي ثيابًا سوداء ثقيلةً وتحتلُّ وجهه نظرة في غاية العبوس، يصعد الرَّبوة نحوهما).

على حافة هذه الخُضرة عاشَ رجل. لا يهمُّ اسمه، فلا أحد استعملَه يومًا، ولم يَدعُه أهل القرية إلَّا بـ«العطَّار».

(سألَه كونر: «الماذا؟»).

(كرَّر الوحش: *العطَّار*).

(«الماذا؟»).

العطَّار اسم عتيق -حتى في ذلك الحين- للكيميائي.

(«أوه. ولِمَ لم تقل هذا من البداية؟»).

لكن الاسم كان مستحقًّا عن جدارة، فالعطارة مهنة عتيقة، ويتعامَل مُزاولوها في سُبل الطِّب القديمة أيضًا، في الأعشاب والألحية، والعقاقير المحضَّرة من التُّوت وورق الشَّجر.

(علَّق كونر وهما يُشاهِدان الرَّجل يجتثُّ من الأرض جذرًا: «زوجة بابا الجديدة تفعل هذا. عندها متجر تبيع فيه البلَّور»).

(ردَّ الوحش عابسًا: *ليس هذا كذاك إطلاقًا*).

في أيام كثيرة ذهبَ العطّار يتمشّى ليجمع الأعشاب والأوراق من الأخضر المحيط، ولكن مع مرور السّنين غدت المسافات التي يقطعها أطول فأطول، إذ انتشرت الطّرق والمصانع من القرية مثل الطّفح الجلدي الذي برعَ العطّار للغاية في علاجه. بعدما اعتادَ جمع زهور اليكسِسفويل والبلا روزا قبل أن يشرب شاي الصّباح، بدأ ذلك يستغرق النّهار بطوله.

كان العالم يتغيّر، وهو ما أشعرَ العطّار بالنّقمة، أو بالمزيد من النّقمة بالأحرى، فلطالما كان رجلًا كريهًا، رجلًا طمّاعًا يتقاضى أجورًا باهظةً مقابل أدويته، وغالبًا يأخذ ما يفوق قُدرة المريض على الدّفع. وعلى الرغم من هذا أدهشَه مبلغ كراهية أهل القرية له، مفكّرًا أن عليهم أن يُعاملوه بأضعاف ما يرونه من احترام. ولأن أسلوبه في المعاملة رديء، قُوبلَ منهم بأسلوبٍ رديء، ومع مرور الزّمن بدأ مرضاه ينشدون علاجاتٍ أكثر عصريّةً من مُعالجين أكثر عصريّةً، وبالتّالي تضاعفَ ما يَشعُر به العطّار من نقمة.

(أحاطَ بهما الضّباب ثانيةً وتبدّل المشهد، والآن يقفان في مرجٍ فوق قمّة ربوةٍ صغيرة، على أحد جوانبه بيت قسّيس، ووسط بعضِ شواهد القبور الجديدة ترتفع شجرة طقسوس ضخمة).

في قرية العطّار عاشَ أيضًا قسّيس...

(قاطعَه كونر: «إنها الرّبوة التي وراء منزلي»، ونظرَ حوله لكنه لم يرَ

قضبان سكّة القطار ولا صفوف البيوت، فقط بعض مسالك المُشاة ومجرى نهرٍ مليئًا بالوسخ).

استأنفَ الوحش: *أنجبَ القسّيس بنتيْن كانتا قُرَّة عينه.*

(من البيت خرجَت فتاتان صغيرتان صارختان، تُقهقِهان وتضحكان وتقذف كلتاهما الأخرى بحفناتٍ من العُشب، وتجري حول جذع شجرة الطَّقسوس محاولةً الاختباء).

(قال كونر مشيرًا إلى الشَّجرة التي لا تتعدَّى حاليًّا شجرةً: «هذا أنت»).

أجل، ليكن، على أرض بيت القسّيس نمت أيضًا شجرة طقسوس.

(قال الوحش: *ولكم كانت شجرة طقسوس رائعةً*).

(«إن كان هذا رأيك»).

أرادَ العطَّار شجرة الطَّقسوس بشدَّة.

(«فعلًا؟ لماذا؟»).

(أجابَه الوحش وقد لاحَت عليه الدَّهشة: *شجرة الطَّقسوس هي الأهم بين أشجار العلاج قاطبةً. إنها تعيش آلاف السّنين، وتُوتها ولحاؤها وأوراقها ونُسغها ولُبّها وخشبها، كلّ هذا يطنّ ويتوقَّد ويتلوّى حياةً. تستطيع هذه الشَّجرة أن تُداوي كلَّ علَّةٍ يُعانيها الإنسان تقريبًا، إذا خلطَ المقادير وعالجَها العطَّار المناسب*).

(عقدَ كونر حاجبيه قائلًا: «إنك تؤلِّف هذا الكلام»).

(عصفَ الغضب بوجه الوحش، وقال: أتجرؤ على التَّشكيك فيَّ يا ولد؟).

(قال كونر متراجعًا أمام غضبة الوحش: «لا. إنني لم أسمع بذلك من قبل لا أكثر»).

(ظلَّ الوحش على عبوسه بُرهةً أخرى، ثم عادَ إلى القصَّة).

لأجل أن يحصد هذه الأشياء من الشَّجرة، كان على العطَّار أن يقطعها، وهو ما رفضَهُ القسِّيس رفضًا قاطعًا. لقد وقفَت شجرة الطَّقسوس على هذه الأرض من قبل أن تُخصَّص للكنيسة بزمنٍ طويل، وقد بدأت المقابر تُستخدَم بالفعل، وثمَّة بناء جديد للكنيسة في مرحلة التَّخطيط. ستحمي الشَّجرة الكنيسة من الأمطار الغزيرة والطَّقس القاسي، وهكذا مهما سألَه العطَّار -وكان يلحُّ عليه بالسُّؤال كثيرًا- رفضَ القسِّيس السَّماح له بمجرَّد الاقتراب من الشَّجرة.

كان القسِّيس رجلًا مستنيرًا، وطيِّبًا كذلك، وقد أرادَ كلَّ خيرٍ لرعيَّته، وأن يُخرِجهم من عصور الخُرافة والشَّعوذة الظَّلاميَّة، ولذا وعظَ ضد استخدام العطَّار الأساليب القديمة، وقد ضمنَ خُلُق العطَّار الفاسد وجشعه أن تستقبل الآذان تلك العظات بحماسة، وهو ما أفضى إلى ركود تجارته أكثر فأكثر.

ثم إن يومًا أتى ومرضَت ابنتا القسِّيس، إحداهما أولًا ثم الثَّانية،

وقد أصابَتهما عدوى تجتاح الأرياف.

(أظلمَت السَّماء، وسمعَ كونر سُعال البنتيْن من داخل البيت، وكذا عقيرة القسّيس المرتفعة بالصَّلاة، ودموع زوجته).

لا شيء فعلَه القسّيس ساعدَ؛ لا الدُّعاء، ولا دواء طبيبٍ عصري يَبعُد بلدتين، ولا العلاجات التي قدَّمها أفراد أبرشيَّته بخجلٍ وفي الكتمان، لا شيء. وأخيرًا لم يعُد لديه خيار آخر غير الذَّهاب إلى العطَّار، فابتلعَ القسّيس كبرياءه وذهبَ إلى العطَّار ليتوسَّل أن يُسامحه.

وعلى رُكبتيه أمام باب العطَّار سألَ القسّيس: «هلَّا تُساعِد ابنتيَّ؟ إن لم يكن من أجلي فمن أجل فتاتيَّ البريئتيْن».

ردَّ العطَّار: «ولِمَ أساعدهما؟ لقد نفَّرت النَّاس من تجارتي بوعظك، وأبيت عليَّ شجرة الطَّقسوس، أفضل مصادري للعلاج، وقلبت هذه القرية عليَّ».

قال القسّيس: «لك أن تأخذ شجرة الطَّقسوس. سألقي عظات تُشيد بك، وأرسلُ إليك رعيَّتي لتُعالِجهم من كلِّ داء. لك أن تأخذ كلَّ ما تُريد إن أنقذت ابنتيَّ فقط».

مندهشًا قال العطَّار: «ستتخلَّى عن كلِّ ما آمنت به؟».

- «إن كان هذا يعني إنقاذ ابنتيَّ فسأتخلَّى عن أيِّ شيء».

أغلقَ العطَّار بابه في وجه القسّيس قائلًا: «إذن فليس هناك ما

أفعله لمساعدتك».

(قال كونر: «ماذا؟»).

في تلك اللَّيلة ماتَت كلتا ابنَتي القسِّيس.

(ثانيةً قال كونر «ماذا؟»، وقد بدأ إحساس الكابوس يستبدُّ بأعماقه).

وفي تلك اللَّيلة جئتُ أسعى.

(صاحَ كونر: «عظيم! ذلك الأحمق الكريه يستحقُّ كلَّ ما ينزل به من عقاب»).

(قال الوحش: *كان هذا رأيي أيضًا*).

بعد منتصف اللَّيل بقليل دمَّرتُ بيت القسِّيس من أساسه.

تكملة الحكاية الثَّانية

مسرعًا دارَ كونر على عقبيه وهو يقول: «القسِّيس؟!».

قال الوحش: *أجل. خلعتُ سقفه وقذفته في الوهدة بالأسفل، وهدمتُ كلَّ جدارٍ في بيته بقبضتيَّ.*

كان بيت القسِّيس لا يزال أمامهما، ورأى كونر شجرة الطَّقسوس المجاورة تستيقظ مستحيلةً إلى الوحش وتنقضُّ بشراسةٍ على البيت. مع الضَّربة الأولى على السَّقف انفتحَ الباب الأمامي بعنفٍ وولَّى القسِّيس وزوجته الأدبار مذعورينْ، وألقى الوحش في المشهد السَّقف وراءهما ليُخطِئهما بالكاد وهما يفرَّان.

قال كونر: «ماذا تفعل؟ العط-أيًّا كان اسمه، هذا هو الشرِّير!».

سألَ الوحش الحقيقي من خلفه: *حقًّا؟*

ارتفعَ صوت تحطُّم، وأسقطَ الوحش الثَّاني جدار البيت الأمامي.

صاحَ كونر: «طبعًا! لقد رفضَ مساعدة ابنتَي القسِّيس! وماتتا!».

- *القسِّيس رفضَ أن يُصدِّق قُدرة العطَّار على المساعدة. في أوقات اليُسرِ كادَ القسِّيس يُدمِّر العطَّار، لكن عندما ساءَت الأمور صارَ مستعدًّا لهجران إيمانه كلِّه إن كان ذلك يعني إنقاذ ابنتيه.*

- «وماذا في هذا؟ أيُّ أحدٍ كان ليفعل ذلك! الجميع كانوا ليفعلوه! ماذا توقَّعت أن يفعل؟!».

- توقّعتُ أن يُعطي شجرة الطّقسوس للعطّار عندما طلبَها أول مرّة.

أوقفَ قوله كونر، الذي سمعَ المزيد من التّحطيم من البيت إذ سقطَ جدار آخَر وهو يقول: «كنت لتتركُ نفسك تُقتَل؟».

قال الوحش: أنا أكثر من مجرّد شجرةٍ واحدة، لكن نعم، كنتُ لأترك شجرة الطّقسوس تُقطَع. كان ذلك لِيُنقِذ ابنَتي القسِّيس، علاوةً على كثيرين جدًّا غيرهما.

زعقَ كونر: «لكنه كان ليَقتُل الشّجرة ويصير غنيًّا! لقد كان شرّيرًا!».

- كان جشعًا ووقحًا وعبوسًا، ورغم ذلك كان مُعالجًا. أمّا القسّيس فماذا كان؟ لا شيء. الإيمان نصف الشّفاء، الإيمان بالدّواء، الإيمان بالمستقبل المنتظر. وها هو ذا رجل عاشَ على الإيمان ثم ضحّى به عند أول تحدٍّ رغم كونه في أشد الحاجة إليه، وكلّفه هذا حياتَي ابنتيه.

قال كونر وقد ازدادَ غضباً: «قلت إنها قصّة بلا خدع».

- قلتُ إنها قصّة عن رجلٍ يُعاقَب على أنانيّته، وهي كذلك.

متميّزًا من الغيظ، عادَ كونر يَنظُر إلى الوحش الثّاني إذ يُدمّر بيت القسّيس. بركلة واحدة أسقطَت ساق وحشيّة عملاقة السّلالم، ودارَت ذراع وحشيّة عملاقة مطيحةً بجُدران غُرفة نوم القسِّيس.

وسألَه الوحش من ورائه: أخبِرني يا كونر أومالي، أتودّ الانضمام إليّ؟

ردَّد كونر مندهشًا: «الانضمام إليك؟».

- *إنه نشاط مُرضٍ للغاية، أؤكِّدُ لك.*

وتقدَّم الوحش لاحقًا بنفسه الثَّانية، وبقدمه الضَّخمة اخترقَ أريكةً لا تختلف عن أريكة جدَّة كونر، ثم نظرَ إلى كونر ورائه منتظرًا.

سألَ الوحش منضمًّا إلى الوحش الثَّاني: *ماذا أدمّرُ الآن؟* وفي تشويشٍ شنيع للبصر اندمجَ الاثنان صانعيْن وحشًا واحدًا أكبر حجمًا.

- *أنتظرُ أمرك يا ولد.*

شعرَ كونر بأنفاسه تتثاقَل مجدَّدًا، وبقلبه ينبض بعُنفٍ وقد اعتراه الإحساس المحموم ثانيةً. انتظرَ لحظةً طويلةً.

ثم إنه قال: «أسقِط المدفأة».

وعلى الفور اندفعَت قبضة الوحش مطيحةً بالمدفأة الحجريَّة عن أساسها، لتتهاوى المدخنة القرميد فوقها

بجلبةٍ مدوِّية.

ازدادَت أنفاس كونر ثقلًا كأنه يرتكب الدَّمار بنفسه، وقال: «ألقِ الأسرَّة».

فالتقطَ الوحش الأسرَّة من غُرفتَي النَّوم عديمتَي السَّقف، وألقاها في الهواء بقوَّةٍ جعلَتها تبدو

كأنما تُحلِّق نحو الأفق تقريبًا، قبل أن تهوي على

الأرض حُطامًا.

صاحَ كونر: «حطِّم أثاثهم! حطِّم كلَّ شيء».

فدارَ الوحش داخل البيت يدوس مهشِّمًا كلَّ قطعة أثاثٍ يجدها بأصوات تحطيمٍ وانسحاق مُرضية.

هدرَ كونر: «اهدمه كلَّه!»، وهدرَ الوحش بدوره وضربَ الجُدران الباقية ليُسقِطها أرضًا، وانطلقَ كونر

يُساعِده ملتقطًا فرعًا ساقطًا ليُحطِّم به النَّوافذ التي لم تتكسر بعدُ.

وفي أثناء هذا كان يَصرُخ بصوت صاخب حالَ دون أن يسمع نفسه يُفكِّر، غابَ تمامًا في جنون التَّدمير المحموم، بلا عقلٍ يُخرِّب ويُخرِب ويُخرِّب.

وكان الوحش محقًّا. هذا نشاط مُرضٍ للغاية.

صرخَ كونر حتى بحَّ صوته، وحطَّم حتى أوجعَته ذراعاه، وهدرَ حتى كادَ ينهار من فرط الإنهاك، ولمَّا توقَّف أخيرًا رأى الوحش يُشاهِده

بهدوءٍ من خارج الأطلال، ولهثَ كونر واستندَ إلى الفرع ليُحافِظ على

توازُنه.



قال الوحش: هكذا يكون الدَّمار.

وعلى حين غرَّةٍ عادا إلى حُجرة جلوس الجدَّة.

ورأى كونر أنه حطَّم كلَّ بوصةٍ منها تقريبًا.

الدّمار

قطعُ الأرِيكة المحطَّمة لا تُحصى. كلُّ ساقٍ خشبيَّة مكسورة، والنِّجادة ممزَّقة شر ممزق، وكُل الحشو متناثرةٌ على الأرض، ومعها بقايا السَّاعة التي انتزُعَت من مكانها على الحائط وحُطّمَت قطعًا تكاد تكون مستحيلة التَّمييز. هكذا أيضًا المصابيح، وكلتا الطَّاولتين الصَّغيرتين عند طرفَي

الأرِيكة، وخزانة الكُتب تحت النَّافذة الأماميَّة، وقد مُزّقَ

كلُّ كتابٍ فيها من الغلاف إلى الغلاف. حتى

ورق الحائط تحوَّل إلى شرائط متَّسخة ممزَّقة

بغير انتظام. الشَّيء الوحيد المتروك قائمًا هو

خزانة العرض، ولو أن بابها الزُّجاجي مهشَّم، وكلّ ما في داخلها ملقى على الأرض.

وقفَ كونر مصدومًا، وخفضَ عينيه إلى يديه ليجدهما

مغطَّاتيْن بالخدوش والدَّم، وأظفاره مكسورةً مشقَّقةً

تُؤلِمه من الجهد.

وهمسَ: «ربّاه!».

ثم دارَ ليُواجِه الوحش.

الذي لم يَعُد هناك.

وفي الفراغ الذي سادَ فيه الهدوء الشّديد فجأةً صرخَ كونر: «ماذا فعلت؟!». بإمكانه بالكاد تحريك قدميه في الحُطام الذي يفترش الأرض.

مُحال أنه فعلَ كلّ هذا بنفسه.

مُحال.

(... أليس كذلك؟)

ثانيةً قال: «ربّاه! ربّاه!».

وسمعَ: *الدّمار نشاط مُرضٍ جدًا*، إلّا أنه كان كصوتٍ محمول على النّسيم، يكاد لا يكون موجودًا إطلاقًا.

ثم إنه سمعَ سيّارة جدّته تتوقّف أمام المنزل.

لم يكن هناك مكان يفرّ إليه، لا وقت لمجرّد أن يَخرُج من الباب الخلفي ويذهب وحده بوسيلةٍ ما إلى مكانٍ ما حيث لا تستطيع العثور عليه.

وجالَ بباله أن أباه نفسه لا يُمكن أن يأخذه حين يعرف بما فعلَه، فلن يسمحوا أبدًا لصبيّ قادر على ارتكاب كلّ هذا بأن يذهب ليعيش بمنزلٍ فيه طفلة رضيعةٌ...

مرّةً أخرى قال كونر: «ربّاه!»، وقلبه يخفق بعُنفٍ يكاد يقذفه من

صدره.

ودسَّت جدَّته مفتاحها في القفل وفتحَت الباب الأمامي.

خلال الجزء من الثَّانية الذي تلا دورانها حول الرُّكن إلى حُجرة الجلوس وهي لا تزال تعبث بحقيبة يدها، وقبل أن تُدرِك مكان كونر أو

ما حدثَ، قبل ذلك رأى وجهها، كم هو متعَب، ولا يحمل أخبارًا طيِّبةً أو سيِّئةً، مجرَّد ليلةٍ أخرى في المستشفى مع أمِّه، ليلةٍ أخرى من اللَّيالي التي بدأت تُثقِل عليهما وتنهِكهما.

وفي اللَّحظة التَّالية رأت.

- «ما هذا بحقِّ الـ...». قالتها مانعةً نفسها لا إراديًّا من قول «الجحيم» أمام كونر، وقد تجمَّدت في مكانها ممسكةً حقيبتها في الهواء. وحدهما عيناها تحرَّكتا تمتصَّان خراب حُجرة الجلوس بعدم تصديق، كأنما تَرفُضان رؤية ما جرى حقًّا، ولم يسمعها كونر تتنفَّس حتى.

ثم إنها نظرَت إليه فاغرةً فاها وقد اتَّسعت عيناها عن آخِرهما، رأته واقفًا هناك في منتصف الدَّمار بيدين أدماهما عملهما.

انغلقَ فمها، ولكن ليس بشكله القاسي المعتاد، بل ارتجفَ وارتعشَ كأنها تُقاوِم دموعها، كأنها تستطيع الحفاظ على تماسُك بقيَّة ملامحها بالكاد.

ثم إنها أنَّت، في أعماق صدرها أنَّت وفمها لا يزال مغلقًا.

وكان الصَّوت مؤلمًا للغاية، حتى إن كونر منعَ نفسه بصعوبةٍ من وضع يديه على أُذنيه. وثانيةً أصدرَته، وثانيةً، وثانيةً حتى استحالَ إلى صوتٍ واحد، إلى أنينٍ رهيب متواصل. سقطَت حقيبة يدها أرضًا، ووضَعت كفَّيها على فمها كأن من شأن هذا أن يكتم فظاعة ما يتدفَّق منها من أنينٍ ونُواحٍ وعويل.

قال كونر بصوتٍ مرتفع مشدود خوفًا: «جدَّتي؟».

وعندئذٍ صرخَت.

رفعَت يديها عن فمها وكوَّرتهما، وفتحَت فمها على وسعه وصرخَت، صرخَت بدويٍّ أجبرَ كونر على وضع يديه على أُذنيه هذه المرَّة. لم تكن تَنظُر إليه، لم تكن تَنظُر إلى أيِّ شيء، فقط تَصرُخ في الهواء.

لم يَشعُر كونر بهذا الرُّعب في حياته كلِّها. كأنه واقف على حافة العالم، أقرب إلى كونه حيًّا مستيقظًا في الكابوس، مع هذا الصُّراخ، في هذا الفراغ...

ثم إنها دخلَت الحُجرة.

تقدَّمت خائضةً في الحُطام كأنها لا تراه، وأسرعَ كونر يتراجع مبتعدًا عنها ليتعثَّر في الأريكة الخربة، وقد رفعَ يده ليحمي نفسه متوقِّعًا أن تتوالى عليه الضَّربات في أيَّة لحظة...

لكنها لم تسعَ إليه.

مرَّت به جدَّته من دون أن تلتفت نحوه، سحنتها منقلبة من الدُّموع،

والأنين يتدفَّق منها من جديد، وذهبَت إلى خزانة العرض، الشَّيء الوحيد الواقف معتدلًا في الحُجرة.

وأمسكَتها من جانبها... وبقوَّةٍ شدَّتها مرَّةً...

وثانيةً...

ومرَّةً ثالثةً.

وأسقطَتها أرضًا لتُصدِر صوت تحطُّمٍ يُعلِن نهايتها.

ثم أطلقَت جدَّته أنينًا أخيرًا، ومالَت إلى الأمام لتضع يديها على رُكبتيها فيما تَخرُج أنفاسها شهقاتٍ متقطِّعةً.

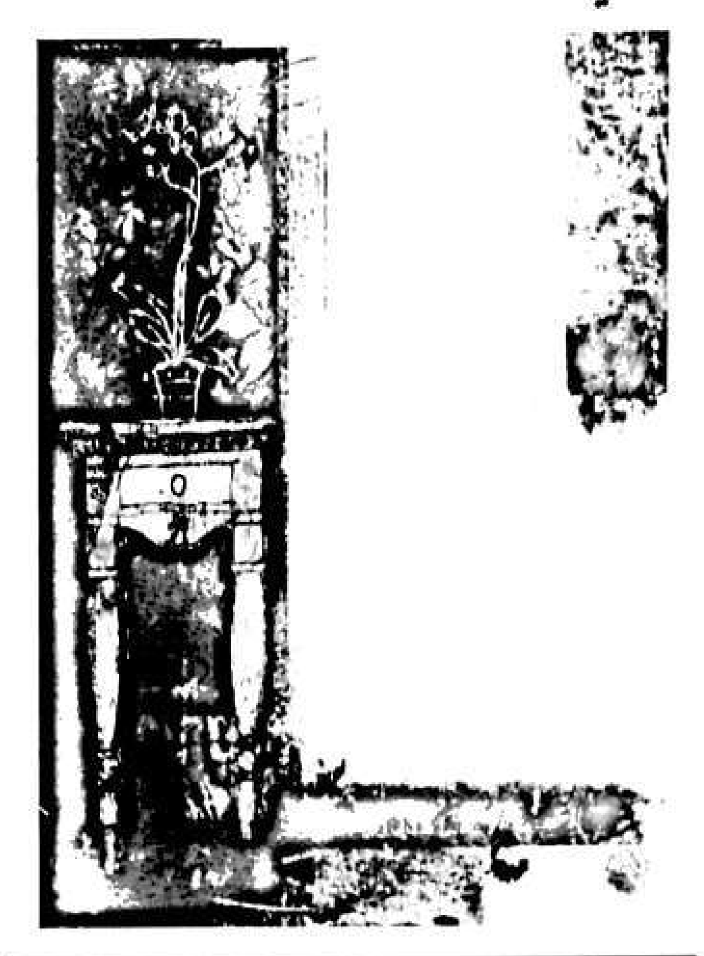
لم تَنظُر إلى كونر، لم تَنظُر إليه ولو مرَّةً وهي تُعاوِد الوقوف وتُغادِر الحُجرة تاركةً حقيبتها حيث أفلتَتها، ثم صعدَت إلى غُرفة نومها مباشرةً وأغلقَت الباب وراءها بهدوء.

وقفَ كونر هناك فترةً، لا يدري هل يتحرَّك أم لا.

وبعد ما بدا كأبديَّةٍ كاملة، ذهبَ إلى مطبخ جدَّته ليُحضِر بعض أكياس القمامة الفارغة، وانهمكَ في تنظيف الفوضى حتى ساعة متأخِّرة من اللَّيل، لكنها كانت ضخمةً حقًّا، ولدى استسلامه أخيرًا كان الفجر يبزُغ.

صعدَ السَّلالم من غيرِ أن يُكلِّف نفسه غسل الأوساخ والدَّم الجاف، وإذ مرَّ بغرفة جدَّته أخبرَه الضَّوء البادي من تحت عقب بابها بأنها ما زالَت مستيقظةً.

وسمعَها بالدَّاخل تبكي.





خفيّ

وقفَ كونر ينتظر في فِناء المدرسة.

كانَ قد رأى ليلي قبل قليل، واقفةً مع مجموعةٍ من الفتيات يعلم أنها لا تحبهن ولا يحببنها، ومع ذلك ها هي ذي تقف معهن صامتةً وهن مستغرقات في الثَّرثرة. وجدَ نفسه يُحاوِل لفت انتباهها، غير أنها لم تَنظُر في اتِّجاهه قَطّ.

كأنها لم تَعُد تراه.

وهكذا انتظرَ بمفرده مستندًا إلى جدارٍ حجري، بعيدًا عَن الأطفال الآخَرين وهُم يتصايَحون ويتضاحَكون ويَنظُرون في هواتفهم، كأن لا مشاكل في العالم على الإطلاق، كأن شيئًا في الكون الواسع بأكمله لن يحلَّ بهم يومًا.

ثم إنه رآهم، هاري وسُلي وأنتون، يقطعون الفِناء نحوه في صفٍّ قُطري، وقد ثبَّت هاري عليه نظرته من غير أن يبتسم ولكن بانتباه، وبدا تابعاه سعيدينْ مقدَّمًا.

ها هُم أولاء.

وشعرَ كونر بالضَّعف من فرط الارتياح.

هذا الصَّباح، لم ينم إلَّا مقدار ما يكفي لرؤية الكابوس، كأن الأمور ليست سيِّئةً بالفعل. كان هناك مرَّةً أخرى، مع الهلع والسُّقوط والشَّيء الشَّنيع المريع الذي يَحدُث في النِّهاية، ثم استيقظَ صارخًا على نهارٍ لا يبدو أفضل كثيرًا.

حين استجمعَ شجاعته أخيرًا لينزل وجدَ أباه في مطبخ جدَّته يعدُّ الفطور.

أمَّا جدَّته فلا أثرَ لها.

سألَه أبوه رافعًا المقلاة التي يطهو فيها البيض: «مخفوق؟».

أومأ كونر برأسه إيجابًا، مع أنه لم يكن يَشعُر بأيِّ شيءٍ يمتُّ بصلةٍ للجوع، وأخذَ مقعدًا عند الطَّاولة. فرغَ أبوه من طهو البيض ووضعه على الخبُز المحمَّص المدهون بالزُّبدة الذي أعدَّه أيضًا، ووضعَ طبقَين، أحدهما لكونر والثَّاني لنفسه، ثم جلسا ليأكلا.

ازدادَ الصَّمت ثقلًا حتى إن كونر بدأ يجد عُسرًا في التَّنفُّس.

وأخيرًا قال أبوه: «صنعتَ فوضى عارمةً».

واصلَ كونر الأكل آخذًا أصغر قضماتٍ ممكنة من البيض.

- «لقد اتَّصلَت بي هذا الصَّباح، مبكِّرًا جدًّا جدًّا».

أخذَ كونر قضمةً ميكرسكوبيَّة أخرى.

قال أبوه: «حالة أمِّك ساءَت يا كون»، فأسرعَ كونر يرفع ناظريْه فيما تابعَ: «جدَّتك ذهبَت إلى المستشفى لتوِّها لتتكلَّم مع الأطبَّاء. سأقلُّك إلى المدرسة».

- «المدرسة؟! أريدُ أن أرى ماما!».

لكن أباه كان يهزُّ رأسه رفضًا بالفعل، ويقول: «ليس ذلك مكانًا ملائمًا لطفلٍ حاليًّا. سأقلُّك إلى المدرسة وأذهبُ إلى المستشفى، لكنني سآخذك بعد المدرسة مباشرةً وأوصلك إليها»، ثم خفضَ بصره إلى طبقه مضيفًا: «سآخذك قبل ذلك إذًا... إذا دعَت الحاجة».

وضعَ كونر شوكته وسكِّينه وقد زالَت رغبته في الأكل، ربما إلى الأبد.

قال أبوه: «اسمع، أتذكُر ما قلته لك عن وجوب تحلِّيك بالشَّجاعة؟ حسن، لقد حانَ الوقت يا بُني»، وأشارَ برأسه إلى حُجرة الجلوس معلِّقًا: «أرى كم يزعِجك الأمر»، وابتسمَ ابتسامةً حزينةً سرعان ما اختفَت، وأردفَ: «مثلما ترى جدَّتك».

قال كونر وقد بدأت دقَّات قلبه تتسارَع: «لم أقصد هذا. لا أدري ما حدثَ».

- «لا بأس».

قطَّب كونر وجهه مردِّدًا: «لا بأس؟!».

عادَ أبوه إلى إفطاره قائلًا: «لا تقلق. أشياء أسوأ تحدُث في البحر».

- «ما الذي يعنيه هذا؟».

أجابَ أبوه بحزم: «يعني أننا سنتظاهَر بأن شيئًا لم يَحدُث، لأن هنالك أشياءَ أخرى تَحدُث الآن».

- «أشياء أخرى مثل ماما؟».

زفرَ أبوه، وقال: «افرُغ من إفطارك».

- «ألن تعاقِبني حتى؟».

هزَّ أبوه رأسَه، وردَّ: «وما الجدوى يا كون؟ ما الذي قد يُجديه ذلك؟».

- • -

لم يسمع كونر كلمةً من دروسه في المدرسة، لكنِ المعلِّمين لم يؤنِّبوه على غفلته، وتجاوَزوه عندما ألقوا على الفصل أسئلةً، حتى إن المسز مارل لم تجعله يُسلِّم واجبَ كتابة الحياة رغم أن اليوم موعده، ولم يكن كونر قد كتبَ منه جُملةً واحدةً.

ولم يبدُ أن لأيٍّ من هذا أهميَّة.

حافظَ زُملاؤه في الفصل على مسافة بينهم وبينه أيضًا، كأن رائحةً كريهةً تنبعث منه. حاولَ أن يتذكَّر إنْ كان قد تكلَّم مع أحدهم منذ وصوله صباح اليوم، فلم يحسب أنه فعلَ، وهو ما يعني أنه لم يتبادَل كلامًا مع أيِّ أحدٍ منذ أبيه في الصَّباح.

كيف يَحدُث شيء كهذا؟

لكن هاري أتى أخيرًا، وشعرَ كونر بأن هذا -على الأقل- طبيعي.

قال هاري متوقِّفًا على بُعد خُطوة منه: «كونر أومالي»، ووقفَ سُلي وأنتون وراءه يضحكان ضحكًا مكتومًا.

اعتدلَ كونر المستند إلى الحائط، وأسقطَ يديه على جانبيه مهيِّئًا نفسه للضَّربة أينما تقع.

غير أنها لم تقع.

اكتفى هاري بالوقوف، ووقفَ سُلي وأنتون أيضًا وقد بدأت ابتسامتهما تتقلَّص ببُطء.

سألَه كونر: «ماذا تنتظر؟».

قال سُلي لهاري: «نعم، ماذا تنتظر؟».

وقال أنتون: «اضربه».

لم يتحرَّك هاري وأبقى تركيز نظرته على كونر، الذي لم يكن بوسعه إلَّا مبادلته النَّظر حتى شعرَ كأن شيئًا لم يتبقَّ في العالم غيره وهاري. كانت كفَّاه تُفرِزان العَرق، وقلبه يدقُّ بسرعة.

فكَّر: *افعلها*، ثم أدركَ أنه يقولها بصوتٍ مسموع: «افعلها!».

سألَه هاري بهدوء: «أفعلُ ماذا؟ ما الذي تُريدني أن أفعله يا أومالي؟».

قال سُلي: «يُريدك أن تمسح به الأرض ضربًا».

وقال أنتون: «يُريدك أن تُشبِعه من الضَّرب».

بفضولٍ بدا حقيقيًّا سألَه هاري: «أهذا صحيح؟ أتُريد هذا حقًّا؟».

لم يُجِب كونر، ووقفَ فحسب مكوِّرًا قبضتيه.

ينتظر.

ثم ارتفعَ رنين الجرس، وفي اللَّحظة نفسها بدأت المِس كوان تقطع الفِناء متبادلةً الكلام مع معلِّمٍ آخَر، وإن أبقَت عينيها على التَّلامذة المحيطين وخصَّت بنظراتها كونر وهاري.

قال هاري: «أظنُّنا لن نعرف أبدًا ما يُريده أومالي».

ضحكَ أنتون وسُلي، ولو أن من الواضح أنهما لم يفهما الدُّعابة، واتَّجه ثلاثتهم معًا إلى الدَّاخل.

لكن هاري راقبَ كونر وهُم ذاهبون، ولم يُشِح ببصره عنه لحظةً.

وتركَ كونر يقف وحيدًا.

كأنه خفيٌّ تمامًا عن العالم بأكمله.

أشجار الطَّقسوس

- «أهلًا يا صغيري الجميل». قالتها أمُّه دافعةً نفسها إلى أعلى قليلًا فوق فِراشها إذ دخلَ كونر من الباب.

ورأى كم كافحَت لتفعل هذا.

نهضَت جدَّته من مقعدها قائلةً: «سأكون بالخارج»، ومرَّت بكونر غير ناظرةٍ إليه.

وقال أبوه الواقف عند الباب: «سأحضرُ شيئًا من ماكينة البيع يا رفيق. هل تُريد شيئًا؟».

ردَّ كونر من دون أن يرفع عينيه عن أمِه: «أريدك أن تكفَّ عن مناداتي بـ«يا رفيق» هذه».

فضحكَت أمُّه.

قال أبوه: «سأعودُ بعد قليل»، وتركَه معها.

قالت مربِّتةً على الفِراش إلى جانبها: «تعالَ هنا»، فذهبَ وجلسَ إلى جوارها حارصًا على عدمِ قلقلة الأنبوب الذي غرسوه في ذراعها، أو الأنبوب الذي يُدخِل الهواء من منخريْها، أو الأنبوبِ الذي يعرف أنهم يلصقونه بصدرها بين الحين والآخَر عندما تُضَخُّ الكيماويات البرتقاليَّة الزَّاهية في جسدها وقت تلقِّي العلاج.

مدَّت يدًا مهزولةً تُمشِّط بها شعره، وسألَته: «كيف حال صغيري

كونر؟»، وعلى ذراعها رأى بُقعةً صفراء حيث يَدخُل الأنبوب، وكدماتٍ أرجوانيَّةً صغيرةً منتشرةً في باطن مِرفقها.

لكنها كانت مبتسمةً. متعَبة نعم، كليلة نعم، لكنها ابتسامة.

قالت: «أعرفُ أنني أبدو شنيعةً».

- «لا، لستِ كذلك».

عادَت تُمشِّط شعره بأصابعها قائلةً: «أظنُّني أستطيعُ أن أغفر كذبةً مبعثها الرَّأفة».

سألَها كونر: «أأنتِ بخير؟»، وعلى الرغم من سخافة السُّؤال التَّامَّة من ناحية، فقد أدركَت أمُّه ما يعنيه.

أجابَت: «الحقيقة يا حبيب قلبي أن بعض الأشياء المختلفة التي جرَّبوها لم يعمل كما أرادوا، ولم يعمل في وقتٍ أبكر كثيرًا مما أملوا، إن كان لهذا معنى».

فهزَّ كونر رأسه نفيًا.

قالت: «نعم، أنا أيضًا لا أفهمُ معناه حقًّا»، ورأى ابتسامتها تضيق ومعاناتها تزداد للاحتفاظ بها، ثم إنها أخذَت نفسًا عميقًا خشخشَ في صدرها بعض الشَّيء كأن بداخله شيئًا ثقيلًا، وتابعَت: «الأشياء تَحدُث بسرعةٍ أكبر مما أملتُ يا حبيب قلبي»، وكان صوتها مبحوحًا، مبحوحًا لدرجةٍ جعلَت معدة كونر تنقلب أكثر، وقد سرَّه فجأةً أنه لم يأكل شيئًا منذ الإفطار.

واصلَت أُمُّه بصوتٍ ما زالَ مبحوحًا، وإن عادَت تبتّسم: «لكن هنالك شيئًا آخَر سيجرّبونه، دواءً أتى ببعض النَّتائج الجيِّدة».

- «لِمَ لم يجرِّبوه من قبل؟».

- «أتذكُر جلسات العلاج؟ فقداني شعري والقيء المستمر؟».

- «طبعًا».

شرحَت: «حسن، هذا شيء تأخذه عندما لا يعمل العلاج الآخَر كما أرادوا. كان ذلك احتمالًا قائمًا دومًا، لكنهم أملوا ألَّا يضطرُّوا للُّجوء إليه»، وخفضَت ناظرَيها مضيفةً: «وأملوا ألَّا يضطرُّوا للُّجوء إليه بهذه السُّرعة».

- «أيعني هذا أن الأوان فاتَ؟». ألقى كونر السُّؤال مطلقًا سراح الكلمات من دون أن يدرِك ما يقوله.

أسرعَت تُجيبه: «لا يا كونر. لا تُفكِّر هكذا. الأوان لم يَفُت. الأوان لا يفوت أبدًا».

- «متأكِّدة؟».

ابتسمَت ثانيةً، وقالت بصوتٍ أقوى قليلًا: «أصدِّقُ كلَّ كلمةٍ أقولها».

تذكَّر كونر ما قاله الوحش: *الإيمان نصف الشِّفاء.*

ظلَّ يَشعُر كأنه لا يتنفَّس، غير أن التَّوتُّر بدأ ينزاح بعض الشَّيء

متخليًا عن معدته، ورأته أمُّه يسترخي قليلًا، فبدأت تَفرُك جلد ذراعه، وقالت وقد ازدادَت نبرتها مرحًا: «وإليك شيئًا مثيرًا جدًّا للاهتمام. أتَذكُر تلك الشَّجرة فوق الرَّبوة وراء منزلنا؟».

واتَّسعت عينا كونر.

تابعَت أمُّه التي لم تلحظ: «صدِّق أو لا تصدِّق، هذا الدَّواء مصنوع من شجر الطَّقسوس».

ردَّد بصوتٍ خفيض: «شجر الطَّقسوس؟».

قالت: «أجل. لقد قرأتُ عنه منذ مُدَّة طويلة حين بدأ كلُّ هذا»، وسعلَت في يدها، ثم سعلَت ثانيةً، وأكملَت: «كنتُ آملُ ألَّا تَبلُغ الأمور هذا الحد، ولكن يبدو لي مذهلًا أننا كنا نرى شجرة طقسوس من منزلنا طوال ذلك الوقت، وأن تلك الشَّجرة تحديدًا قد تكون الشَّيء الذي يُداويني».

كان عقل كونر في دوَّامةٍ تدور بسرعةٍ تكاد تُدوِّخه.

أردفَت أمُّه: «مذهلةٌ الأشياء الخضراء في هذا العالم، أليس كذلك؟ كم نعمل بجدٍّ للخلاص منها مع أنها أحيانًا ما يُنقِذنا».

قادرًا بالكاد على السُّؤال، سألَها كونر: «وهل سينقِذك هذا؟».

من جديدٍ ابتسمَت أمُّه، وأجابَت: «آملُ هذا. أعتقدُ هذا».

أممكنٌ ذلك؟

خرجَ كونر إلى رُواق المستشفى وأفكاره يُسابِق بعضها بعضًا. دواء من أشجار الطَّقسوس، دواء من شأنه أن يُشفي شفاءً حقيقيًّا، دواء كالذي رفضَ العطَّار إعداده للقسّيس... ولو أن كونر -في الحقيقة- لم يستوعب بعدُ لِمَ هُدِمَ منزل القسِّيس وليس العطَّار.

ما لم...

ما لم يكن الوحش هنا لسبب، ما لم يكن قد جاءَ يسعى ليشفي أمَّ كونر.

بصعوبةٍ جرؤ على الأمل، بصعوبةٍ جرؤ على مجرَّد تأمُّل الفكرة.

لا.

لا، بالطَّبع لا، لا يُمكن أن يكون ذلك حقيقيًّا. إنه تفكير سخيف. الوحش حلم وليس أكثر من حُلم.

لكن الأوراق، والتُّوت، والنَّبتة في خشب الأرضيَّة، ودمار حُجرة جلوس جدَّته.

شعرَ كونر بخفَّةٍ مفاجئة، كأنه بدأ -بوسيلةٍ ما- يطفو في الهواء.

أممكنٌ ذلك؟ أممكنٌ ذلك حقًّا؟

سمعَ أصواتًا فنظرَ نحو نهاية الرُّواق. كان أبوه وجدَّته يتشاجَران.

لم يسمع ما يقولانه، إلَّا أن جدَّته كانت تطعن الهواء بإصبعها بشراسة نحو صدر أبيه، الذي قال: «وماذا تُريدينني أن أفعل؟!»، فخرجَت نبرته مرتفعةً جاذبةً انتباه المارين. لم يسمع كونر رد جدَّته، لكنها أتَت تقطع الرُّواق ثائرةً، ومرَّت به من دون أن تَنظُر إليه إذ دخلَت غُرفة أمِه.

وبعد قليلٍ انضمَّ إليه أبوه وقد تهدَّلت كتفاه.

سألَه كونر: «ماذا هناك؟».

أجابَه بابتسامةٍ سريعة: «آه، جدَّتك غاضبة مني. ليس شيئًا جديدًا».

- «لماذا؟».

لاحَ على أبيه الضِّيق وهو يقول: «لديَّ خبر سيِّئ يا كونر. يجب أن أرجع إلى الوطن اللَّيلة».

- «اللَّيلة؟ لماذا؟!».

- «الصَّغيرة مريضة».

- «أوه. ماذا بها؟».

- «لا شيء خطيرًا على الأرجح، لكن ستفاني جُنَّت بعض الشَّيء وأخذَتها إلى المستشفى، وتُريدني أن أرجع فورًا».

- «وستذهب؟».

قال أبوه: «أجل، لكنني سأعودُ الأحد بعد المقبل، أقل من

أسبوعين. لقد أعطوني إجازةً أطول من العمل لأعود وأراك».

قال كونر كأنما يكلّم نفسه: «أسبوعان. لا بأس بهذا. ماما تأخذ الدَّواء الجديد وسيجعلها تتحسَّن. لدى عودتك إذن...».

وبترَ عبارته عندما رأى وجه أبيه.

- «دعنا نذهب لنتمشَّى يا بُني؟».

قُبالة المستشفى حديقة صغيرة تضمُّ ممرَّات بين الأشجار، وفيما مشى كونر وأبوه عبرها نحو دكَّة شاغرة، ظلَّا يمرَّان بمرضى بأردية المستشفى، يتمشَّون مع أهلهم أو بمفردهم ليختلسوا سيجارةً. جعلَ المنظر الحديقة تبدو كغُرفة مستشفى خارجيَّة، أو مكانٍ تذهب إليه الأشباح لتأخذ راحةً قصيرةً.

إذ جلسا قال كونر: «هذه محادثة، أليس كذلك؟ دائمًا ما يُريد الجميع محادثةً صغيرةً هذه الأيام».

قال أبوه: «كونر، الدَّواء الجديد الذي تأخذه أمُّك...».

قاطعَه بحزم: «سيجعلها أحسن».

صمتَ أبوه لحظةً قبل أن يردَّ: «لا يا كونر، على الأرجح لا».

قال كونر بإصرار: «بل سيجعلها أحسن».

- «إنها محاولة يائسة أخيرة يا بُني. آسف، لكن الأمور مضَت بسرعةٍ شديدة».

- «سيُشفيها الدَّواء، أعلمُ هذا».

- «كونر، السَّبب الآخَر الذي أغضبَ جدَّتك مني، أنها ترى أنني وأمَّك لم نكن صريحيْن معك بما فيه الكفاية بخصوص ما يَحدُث حقًّا».

- «وما الذي تعرفه جدَّتي عن الأمر؟».

وضعَ أبوه يده على كتفه قائلًا: «كونر، أمُّك...».

نهضَ كونر نافضًا الفكرة عن نفسه، وقال: «ستُصبح بخير. الدَّواء الجديد هو السِّر. إنه السَّبب كلُّه. كما أقولُ لك، أنا أعلمُ».

تساءلَ أبوه وقد بدَت عليه الحيرة: «السَّبب وراء ماذا؟».

واصلَ كونر: «عُد إذن إلى أمريكا، عُد إلى عائلتك، وسنكون بخيرٍ هنا من غيرك، لأن الدَّواء سينجح».

- «كونر، لا...».

- «نعم، سينجح».

قال أبوه مائلًا إلى الأمام: «يا بُني، القصص لا تنتهي نهاياتٍ سعيدةً دومًا».

أوقفَه القول... لأنه صحيح، أليس كذلك؟ هذا شيء علَّمه إياه الوحش بكلِّ تأكيد. القصص مخلوقات جامحة ضارية، تذهب في اتِّجاهاتٍ لا يتوقَّعها المرء.

هزَّ أبوه رأسه متابعًا: «المطلوب منك كثير جدًّا، صحيح، أعرفُ هذا. إنه ظُلم وقسوة، وليس كما ينبغي أن تكون الأمور».

ولم يردَّ كونر.

- «سأعودُ بعد أسبوعٍ من يوم الأحد. تذكَّر هذا، اتَّفقنا؟»،

رفعَ كونر عينين تطرفان إلى الشَّمس. أكتوبر هذا دافئ لدرجةٍ مدهشة بحق، كأن الصَّيف لا يزال يُكافح ليبقى.

أخيرًا سألَ كونر: «كم ستبقى؟».

- «أطول فترةٍ ممكنة».

- «وبعدها ستعود».

- «يجب. إن لي...».

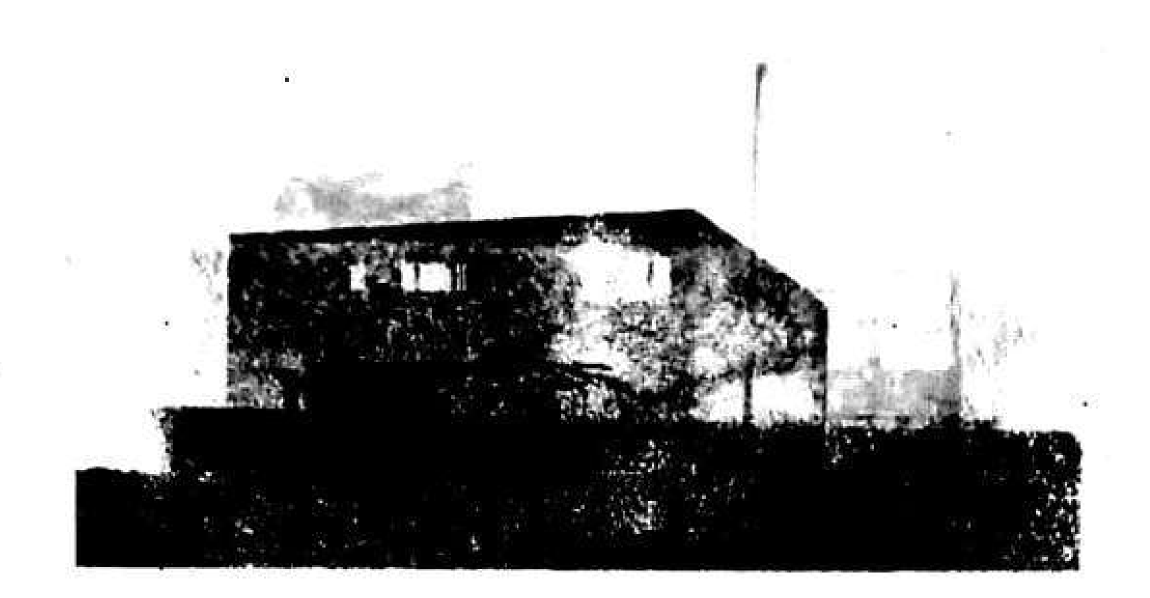
أتمَّ كونر عبارته: «... أسرة أخرى هناك».

حاولَ أبوه أن يمدَّ يده ليُربِّت عليه ثانيةً، لكن كونر كان قد تحرَّك عائدًا إلى المستشفى بالفعل.

لأن لا، الدَّواء سينجح، سينجح، فهذا هو السَّبب الذي جاءَ له الوحش يسعى، لا بُدَّ أنه كذلك. إن كان الوحش حقيقيًّا فمؤكَّد أن هذا هو السَّبب.

في طريقه إلى الدَّاخل ألقى كونر نظرةً على السَّاعة في واجهة المستشفى.

ثمان ساعات أخرى حتى ١٢:٠٧.



لا حكاية

سألَه كونر: «أيُمكنك أن تُعالِجها؟».

قال الوحش: *الطَّقسوس شجرة علاج. إنها الهيئة التي أختارُ الحركة بها أكثر الوقت.*

قطَّب كونر جبينه قائلًا: «ليس هذا جوابًا».

واكتفى الوحش بإعطائه ابتسامته العريضة الشرِّيرة.

أقلَّته جدَّته إلى منزلها بعدما غابَت أمُّه في النَّوم من دون أن تأكل عشاءها. حتى الآن لم تُكلِّمه جدَّته بشأن الدَّمار في حُجرة جلوسها، وبالكاد كلَّمته من الأصل.

بينما يَخرُج من السيَّارة قالت له: «إنني عائدة. حضِّر لنفسك شيئًا تأكله. أعرفُ أنك تستطيع هذا على الأقل».

سألَها: «أتظنِّين أن بابا في المطار الآن؟».

كلُّ ما صدرَ من جدَّته من ردٍّ أنها زفرَت بصبرٍ نافد، فأغلقَ باب السيَّارة وتحرَّكت هي. بعد دخوله قالت السَّاعة -ساعة المطبخ الرَّخيصة التي تشتغل بالحجارة، ولم يتبقَّ لهما غيرها- إن منتصف اللَّيل يدنو، ومع ذلك لم ترجع جدَّته. فكَّر في الاتِّصال بها، لولا أنها زعقَت فيه مرَّةً بالفعل لأن رنين هاتفها أيقظَ أمَّه.

لا يهمُّ. هذا أسهل في الحقيقة، فليس عليه الآن أن يتظاهَر بالخلود

إلى النَّوم. انتظرَ حتى قالت السَّاعة إنها ١٢:٠٧، ثم خرجَ سائلًا: «أين أنت؟».

وقال الوحش: *أنا هنا*، وخطا من فوق سقيفة مكتب الجدَّة بحركةٍ واحدة سلسة.

بمزيدٍ من الحزم سألَ كونر: «أيُمكنك أن تُعالِجها؟».

نظرَ إليه الوحش من أعلى مجيبًا: *ليس ذلك قراري.*

- «ولِمَ لا؟ إنك تهدم البيوت وتُنقِذ السَّاحرات، وتقول إن كلَّ جزءٍ منك فيه علاج إذا استغلَّه النَّاس».

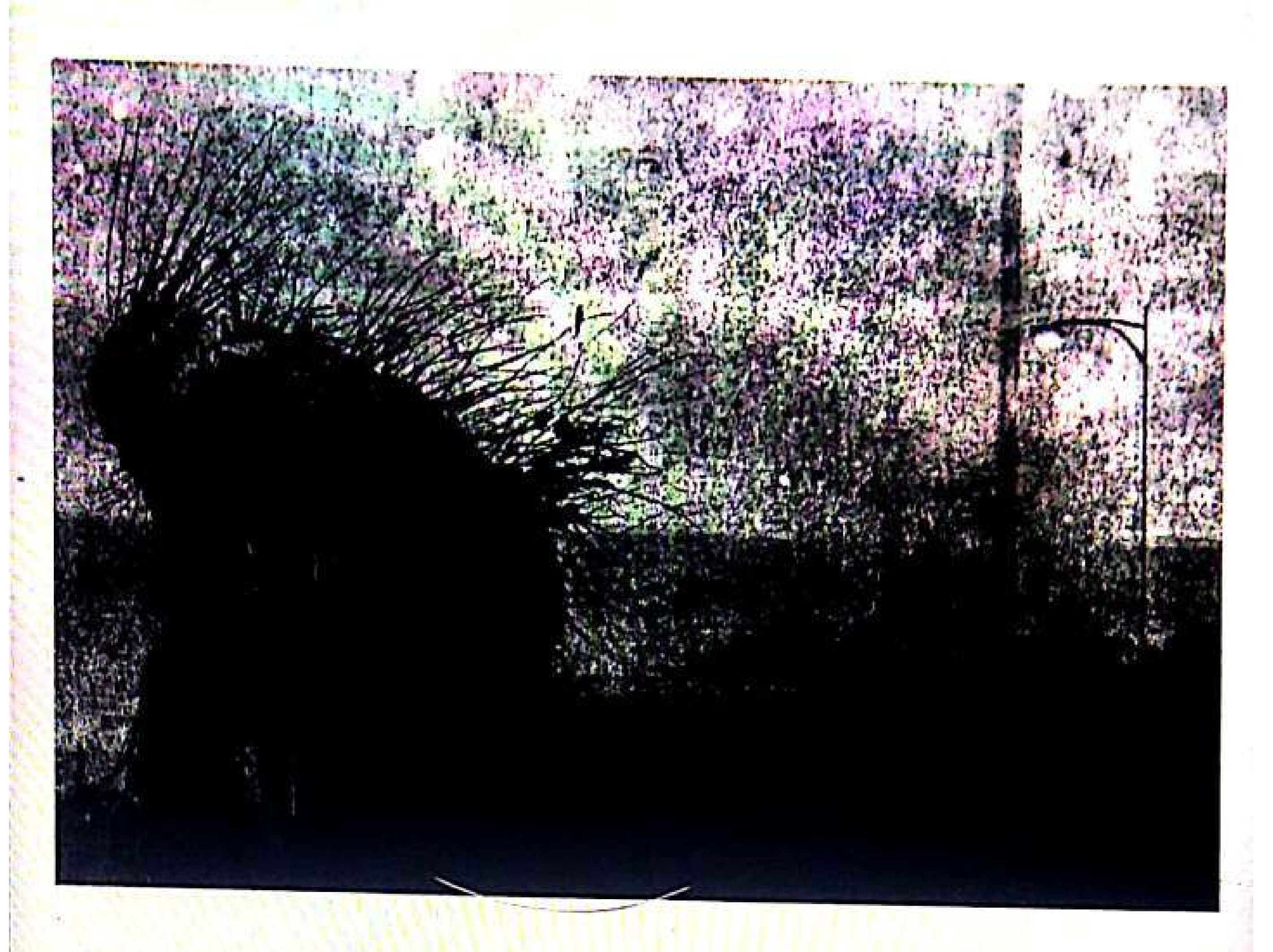
- *إذا كان علاج أمِّك ممكنًا فستُعالِجها شجرة الطَّقسوس.*

عقدَ كونر ذراعيه على صدره متسائلًا: «أتعني نعم؟».

عندئذٍ فعلَ الوحش شيئًا لم يفعله من قبل.

جلسَ.

وضعَ الوحش وزنه العظيم كاملًا فوق مكتب جدَّة كونر، الذي سمعَ الخشب يئنُّ ورأى السَّقف يرتخي. سقطَ قلبه بين قدميه، لأنه إذا دمَّر مكتبها أيضًا فَمَن يدري ما قد تفعله به؟ على الأرجح سترسِله إلى السِّجن، أو أسوأ، إلى مدرسةٍ داخليَّة.



قال الوحش: ما زلت لا تعلم لَم ناديتني، أليس كذلك؟

ما زلت لا تعلم لَم جئتُ أسعى. إنني لا أفعلُ هذا كلَّ يومٍ يا كونر أومالي.

ردَّ كونر: «لم أنادِك، إلا إذا حدثَ ذلك في حُلمٍ أو ما شابهَ. وحتى لو ناديتك فمن الواضح أنني فعلتُ ذلك من أجل أمّي».

- حقًّا؟

قال كونر وقد بدأ صوته يعلو: «إن لم يكن لهذا فلِمَ؟ ليس فقط من أجل سماع قصصٍ رديئة لا تُعقَل».

- هل نسيت حُجرة جلوس جدَّتك؟

ولم يستطِع كونر أن يكبح ابتسامةً صغيرةً تسلَّلت إلى شفتيه.

- كما حسبتُ.

- «إنني جاد».

قال الوحش: وأنا كذلك. لكننا لسنا مستعدّيْن بعدُ للقصَّة الثَّالثة والأخيرة. ستُحكى قريبًا، وبعدها ستحكي لي قصَّتك أنت يا كونر أومالي، ستحكي لي الحقيقة، ومالَ إلى الأمام مضيفًا: وأنت تعرف عمَّ أتكلَّمُ.

وفجأةً أحاطَ بهما الضَّباب من جديدٍ وتلاشَت حديقة الجدَّة. استحالَ العالم إلى فراغٍ رمادي، وأدركَ كونر أين هو بالضَّبط، أدركَ تمامًا إلامَ تبدَّل العالم.

إنه داخل الكابوس.

- • -

هكذا الإحساس بالكابوس، وهكذا يبدو، تتفتَّت حواف العالم ويتمسَّك كونر بيديها شاعرًا بانزلاقهما من قبضتيه، شاعرًا بها

تَسقُط...

صاحَ: «لا! لا! ليس هذا!»،

انجابَ الضَّباب وعادَ إلى حديقة جدَّته، حيث لا يزال الوحش يجلس فوق سطح مكتبها.

وقال كونر بصوتٍ راجف: «ليست هذه حقيقتي، بل مجرَّد كابوس»،

نهضَ الوحش لتبدو عوارض سقف المكتب كأنما تتنفَّس الصُّعداء، وقال: *ولو. هذا هو ما سيَحدُث بعد الحكاية الثَّالثة.*

- «عظيم، قصَّة أخرى في حين أن هنالك أشياءَ أهم تَحدُث»،

- *القصص مهمَّة، ومن شأنها أن تكون أهم من أيِّ شيءٍ آخَر إذا حملَت في طيَّاتها الحقيقة.*

بمرارةٍ قال كونر بصوتٍ خفيض: «كتابة الحياة»،

قال الوحش وقد بدَت عليه الدَّهشة: *صحيح*، والتفتَ ليرحل، لكنه ألقى نظرةً وراءه نحو كونر مردفًا: *انتظرني قريبًا.*

- «أريدُ أن أعرف ما سيَحدُث لأمِّي»،

توقَّف الوحش قائلًا: *ألا تعرف بالفعل؟*

- «قلتَ إنك شجرة علاج. حسن، أريدك أن تُعالِجها!»،

- وسأفعلُ.

قالها الوحش، وبهبَّةٍ من الرِّيح اختفى.

لم أعُد أراك

صباح اليوم التَّالي، في السيَّارة مع جدَّته، قال كونر: «أنا أيضًا أريدُ الذَّهاب إلى المستشفى. لا أريدُ أن أذهب إلى المدرسة اليوم».

اكتفَت جدَّته بالقيادة. واردٌ جدًّا أنها لن تُكلِّمه ثانيةً أبدًا.

سألَها: «كيف كانت ليلة أمس؟». بعد رحيل الوحش ظلَّ مستيقظًا وقتًا طويلًا، ومع ذلك غابَ في النَّوم قبل عودتها.

أجابَت باقتضابٍ مثبِّتةً نظرها على الطَّريق: «لا اختلاف».

- «هل يُساعِدها الدَّواء الجديد؟».

أحجمَت عن الجواب طويلًا جدًّا حتى إنه ظنَّها لن تُجيب، وكان على وشك السُّؤال ثانيةً حين قالت: «ما زالَ الوقت مبكِّرًا على معرفة هذا».

تركَ كونر بعض الشَّوارع تمرُّ، ثم سألَ: «متى سترجع إلى المنزل؟».

ولم تُجِب جدَّته عن هذا السُّؤال، على الرغم من أن نصف ساعةٍ آخَر انقضى قبل وصولهما إلى المدرسة.

- • -

لم يكن هناك أمل من الانتباه إلى الدُّروس، وهو ما لم يهمَّ (مرَّةً أخرى)، لأن لا أحد من المعلِّمين ألقى عليه سؤالًا على كلِّ حال، ولا أحد من زُملاء الصَّف كذلك، ولدى حلول راحة الغداء كان

قد أمضى صباحًا آخَر من غير أن يقول كلمةً واحدةً لأحد.

جلسَ وحده في أقصى قاعة الطَّعام وقد ظلَّ غداؤه أمامه لم يُؤكَل. كان الصَّخب في القاعة لا يُصدَّق إذ يُدوِّي صريخ زُملائه وصياحهم وضحكهم وشجارهم، وهو ما بذلَ كونر ما بوسعه ليتجاهَله.

الوحش سيُعالِجها، بالطَّبع سيفعل، فلأيِّ سببٍ آخَر جاءَ؟ ليس هناك تفسير آخَر. لقد جاءَ يسعى بهيئة شجرة علاجٍ، الشَّجرة نفسها التي يُصنَع منها دواء أمِّه، فإن لم يكن لهذا السَّبب فلِمَ؟

وفكَّر كونر رامقًا صحفة الغداء الممتلئة: أرجوك، أرجوك.

ثم هوَت يدان بقوَّة على جانبَي الصَّحفة من جهة الطَّاولة الأخرى، ليَسقُط عصير البرتقال في حجره.

هبَّ كونر واقفًا وإن لم يكن بالسُّرعة الكافية، فبقَّع العصير بنطاله تمامًا وسالَ على ساقيه.

وكان سُلي يصيح بالفعل: «أومالي بلَّل نفسه!»، وقد انفجرَ أنتون إلى جواره ضاحكًا.

قال أنتون ناثرًا المزيد من السَّائل نحو كونر: «هاك! فاتَك القليل!».

كالعادة وقفَ هاري بين سُلي وأنتون، يُحدِّق إلى كونر عاقدًا ذراعيه على صدره.

وبادلَه كونر التَّحديق.

لفترةٍ طويلة لم يتحرَّك أيُّهما، حتى إن سُلي وأنتون لاذا بالصَّمت، وإذ استمرَّت مسابقة التَّحديق بدأ عدم الارتياح يبدو عليهما وهما يتساءلان عمَّا سيفعله هاري.

وتساءلَ كونر أيضًا.

وأخيرًا قال هاري: «أظنُّني فهمتك يا أومالي، أظنُّني أعرفُ ما تَطلُبه».

قال سُلي: «ستناله الآن»، وضحكَ هو وأنتون متبادلَيْن ضربةً بقبضتيهما.

لم يرَ كونر أيًّا من المعلّمين بركن عينه، فأدركَ أن هاري اختارَ لحظةً يُزعِجونه فيها من دون أن يراهم أحد.

أي إنه وحيد.

تقدَّم هاري خُطوةً محتفظًا بهدوئه، وقال: «إليك أقوى ضربةٍ على الإطلاق يا أومالي، إليك أسوأ ما يُمكنني أن أفعله بك».

ومدَّ يده كأنه يَطلُب أن يُصافِحه.

بل إنه يَطلُب بالفعل أن يُصافِحه.

واستجابَ كونر بحركةٍ شبه آليَّة، فمدَّ يده ليشدَّ على يد هاري قبل حتى أن يُفكِّر في ما يفعله، وتصافَحا كأنهما رجلا أعمالٍ في نهاية لقاء.

وقال هاري ناظرًا في عينَي كونر: «وداعًا يا أومالي. أنا لم أعد

أراك».

ثم أفلتَ يده ودارَ مبتعدًا. بدا مزيد من الارتباك على سُلي وأنتون، لكنهما بعد لحظةٍ ابتعدا بدورهما.

ولم يَنظُر أيُّهم وراءه نحو كونر.

على جدار قاعة الطَّعام ساعة رقميَّة ضخمة، اشترَتها المدرسة في وقتٍ ما في السبعينيَّات باعتبارها أحدث تكنولوجيا ولم تستبدلها منذ ذلك الحين، على الرغم من أنها أكبر سنًّا من أمّ كونر. وبينما شاهده كونر يبتعد، يبتعد مِن دون أن يَنظُر وراءه، يبتعد من دون أن يفعل أيَّ شيء، مرَّ هاري بالسَّاعة.

يبدأ الغداء في ١١:٥٥ وينتهي في ١٢:٤٠.

والآن تقول الساعة الرقمية إنها ١٢:٠٦.

وتردَّدت كلمات هاري في عقل كونر.

- «لم أعد أراك».

وظلَّ هاري يبتعد موفيًا بوعده.

- «لم أعد أراك».

ثم انتقلَت السَّاعة إلى ١٢:٠٧.

ومن ورائه قال الوحش: *حانَ وقت الحكاية الثَّالثة.*

الحكاية الثَّالثة

تابعَ الوحش مع أن كونر أبقى عينيه ثابتتيْن على هاري: *كان هناك رجل خفي سئم من كونه لا يُرى.*

وبدأ كونر يتحرَّك.

يتحرَّك في أعقاب هاري.

تبعَ الوحش كونر، ومع مرورهما انخفضَت جهارة الصَّوت في القاعة.

- *لم يكن خفيًّا فعلًا، غير أن النَّاس تعوَّدوا ألَّا يرونه.*

نادى كونر: «مهلًا!»، ولم يلتفت هاري، ولا سُلي أو أنتون، ولو أنهما ظلَّا يُطلِقان الضَّحك المكتوم إذ حثَّ كونر خُطاه.

تابعَ الوحش حاثًّا خُطاه بدوره: *وإن لم يكن أحد يراك، فهل لك وجود حقًّا؟*

بصوتٍ عالٍ نادى كونر: «مهلًا!».

كان الصَّمت قد رانَ على قاعة الطَّعام فيما تقدَّم كونر والوحش بحركةٍ أسرع وراء هاري.

وظلَّ هاري ممتنعًا عن الالتفات.

بلغَه كونر وقبضَ على كتفه مديرًا إياه،

فتظاهرَ هاري بأنه يستعلم عمَّا حدثَ، ناظرًا بقسوة إلى سُلي وممثّلًا أنه هو من فعلَ هذا، ليقول له: «كفى عبثًا»، ومرَّةً أخرى التفتَ أمامه.

التفتَ عن كونر.

قال الوحش وصوته يرنُّ في أُذنيه: *ثم جاءَ يوم وقرَّر الرَّجل الخفي: سأجعلهم يرونني.*

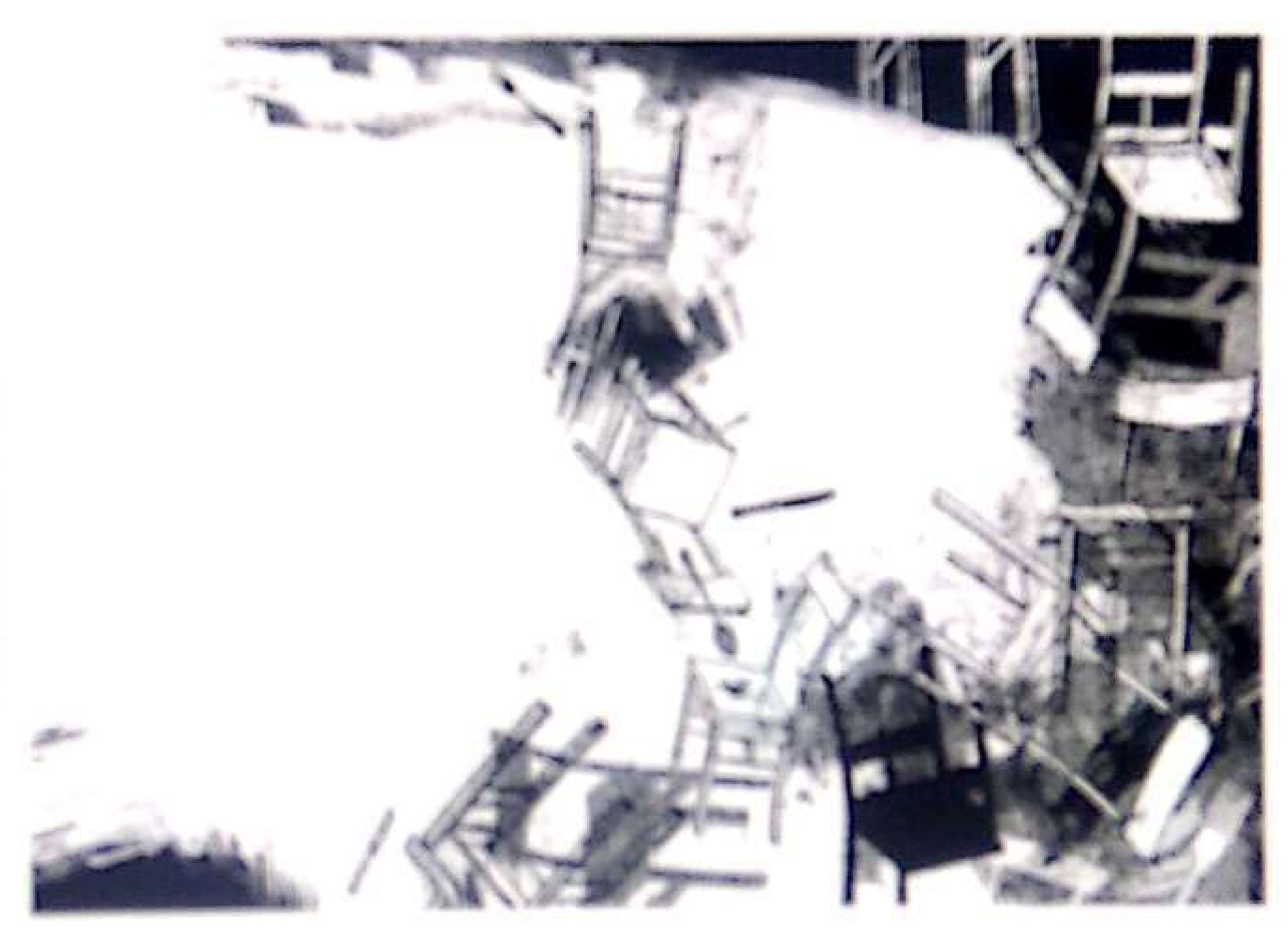
- «كيف؟». ألقى كونر السؤّال شاعرًا بأنفاسه تتثاقَل من جديد، من دون أن يلتفت وراءه ليرى الوحشَ الواقف هناك، ومن دون أن يَنظُر إلى ردَّة فعل مَن في القاعة تجاه الوحش الواقف وسطهم الآن، وإن أدركَ الغمغمات المتوتّرة والتَّرقُّب الغريب في الهواء. «كيف فعلَها الرَّجل؟».

شعرَ كونر بالوحش قريبًا من خلفه، وعرفَ أنه ركعَ وقرَّب وجهه من أُذنه ليهمس له ببقيَّة الحكاية.

وأجابَ الوحش: *نادى وحشًا.*

ومدَّ يدًا وحشيَّةً ضخمةً تجاوزَ بها كونر وطوَّح بهاري بعيدًا على الأرض.





ارتفعَ صوت تخبُّط الصِّحاف

وصُراخ الحاضرين عندما طارَ هاري مارًّا بهم
وسقطَ، وبدا الفزع على سُلي وأنتون إذ نظرا إلى هاري
أولًا، ثم إلى كونر.

تبدَّل التَّعبير على وجهيهما لمَّا رأياه، وأخذَ كونر
خُطوةً أخرى نحوهما شاعرًا بالوحش الشَّاهق
من ورائه. ودارَ أنتون وسُلي على أعقابهما وولَّيا
الأدبار.

- «ما هذا العبث يا أومالي؟». قالها هاري
ساحبًا نفسه إلى أعلى، وقد وضعَ يده على جبهته حيث اصطدمَت
بالأرض حين سقطَ، ثم إنه أزاحها ليَصرُخ بعضهم لمرأى الدَّم.

ظلَّ كونر يتحرَّك فتدافعَوا ليبتعدوا عن طريقه، ومعه تقدَّم الوحش
ملازمًا إياه خُطوةً بخُطوة.

وصاحَ كونر وهو يتقدَّم: «لا تراني؟ لا تراني؟!».

ردَّ هاري صائحًا بدوره إذ وقفَ: «نعم يا أومالي! نعم، لا أراك!
لا أحد هنا يراك!».

توقَّف كونر ونظرَ حوله ببُطء. الآن تُشاهِدهما القاعة كلُّها
في انتظار ما سيَحدُث.

ولكن عندما التفتَ كونر ليُواجِه الموجودين أشاحوا بأبصارهم، كأن النَّظر إليه مباشرةً فعل محرِج للغاية أو موجع للغاية. وحدها ليلي نظرَت في عينيه مُدَّةً أطول من ثانيةٍ واحدة، وقد لاحَ على وجهها القلق والألم.

مسَّ هاري الدَّم على جبهته قائلًا: «أتحسب أن هذا يُخيفني يا أومالي؟ أتحسبني سأخشاك أبدًا؟».

لم يقل كونر شيئًا، بل بدأ يتحرَّك مجدَّدًا.

وتراجعَ هاري خُطوةً، وقال وقد غدا صوته مشبَّعًا بالغلِّ: «كونر أومالي الذي يَشعُر الجميع بالأسف من أجله بسبب أمِّه، الذي يهيم على وجهه في أنحاء المدرسة متظاهرًا بأنه مختلف جدًّا، بأن أحدًا لا يعلم أنه يُعاني».

واصلَ كونر التَّقدُّم. يكاد يصل.

وتابعَ هاري مستمرًّا في التَّقهقُر وعيناه على عينَي كونر: «كونر أومالي الذي يريد أن يُعاقَب، كونر أومالي الذي يحتاج إلى العقاب. وما السَّبب يا كونر أومالي؟ ما الأسرار الشَّنيعة التي تُخفيها؟».

قال كونر: «اخرس!». وسمعَ صوت الوحش يقولها معه.

أخذَ هاري خُطوةً أخرى إلى الخلف حتى التصقَ ظهره بنافذة، ولحظتها بدا كأنما يحبس العالم كلُّه أنفاسه منتظرًا ما سيفعله كونر،

الذي سمعَ معلِّمًا أو اثنين يُناديان من الخارج وقد لاحظا ما يَحدُث أخيرًا.

- «لكن أتدري ما أراه أنا حين أنظرُ إليك يا أومالي؟».

وكوَّر كونر قبضتيه.

مالَ هاري إلى الأمام بعينين تلتمعان، وقال: «لا أرى شيئًا».

ومن دون أن يلتفت سألَ كونر الوحش سؤالًا.

- «ماذا فعلت لتُساعِد الرَّجل الخفي؟».

وشعرَ بصوت الوحش ثانيةً، كأنه داخل رأسه.

- جعلتهم يرون.

وضمَّ كونر قبضتيه بمزيدٍ من الإحكام.

ثم وثبَ الوحش إلى الأمام ليجعل

هاري يرى.

العقاب

أصدرَت مديرة المدرسة صوتًا ساخطًا، وهزَّت رأسها قائلةً: «لا أدري ماذا أقولُ. ما الذي يُمكنني أن أقوله لك يا كونر؟»».

أبقى كونر عينيه منخفضتيْن إلى البساط ذي لون النَّبيذ المسكوب. المِس كوانِ هنا أيضًا، تجلس وراءه كأنه قد يُحاوِل الهرب. رأى المديرة تميل إلى الأمام، أو بالأحرى شعرَ بها. إنها أكبر سنًّا من المِس كوان، وبشكلٍ ما مخيفة أكثر منها مرَّتين.

تابعَت المديرة: «لقد وضعته في المستشفى يا كونر! كسرت ذراعه وأنفه، وأراهنُ أن أسنانه لن تعَود نضيدةً أبدًا. والداه يُهدِّدان بمقاضاة المدرسة، وأيضًا بتقديم شكوى ضدَّك للشُّرطة»».

على إثر قولها رفعَ كونر عينيه.

قالت المِس كوان من خلفه: « كانا في حالة هستيريَّة يا كونر، ولستُ ألومهما. لكنني شرحتُ ما يَحدُث منذ مُدَّة، أنه يتنمَّر عليك بانتظام، وأن ظروفك... خاصَّة»».

وجفلَ كونر من الكلمة.

أردفَت المِس كوان بنبرةٍ ساخرة: «الحقيقة أن الجزء الخاص بالتَّنمُّر هو ما أخافَهما. على ما يبدو، لا يدعو الاتِّهام بالتَّنمُّر للتَّفاؤُل بخصوص القبول في الجامعات المأمولة هذه الأيام»».

بصوتٍ جهوري جعلَهما يقفزان صاحَت المديرة: «ليس هذا

موضوعنا!»»، وواصلَت: «إنني لا أفهمُ ما حدثَ من الأصل»، ونظرَت إلى بعض الأوراق على مكتبها، تقارير من المعلِّمين والتَّلامذة الآخَرين حسبما خمَّن كونر، وأضافَت: «لا أدري حتى كيف استطاع صبيٌّ واحد إحداث كلِّ هذا الأذى وحده»».

الحقيقة أن كونر أحسَّ بما يفعله الوحش بهاري، أحسَّ به في يديه. عندما قبضَ الوحش على قميص هاري أحسَّ كونر بقُماشه في كفَّيه، وعندما هوى الوحش بضرباته أحسَّ بها كونر تخزه في قبضتيه، وعندما لوى الوحش ذراع هاري وراء ظهره أحسَّ كونر بعضلات هاري تُقاوِم.

تُقاوِم، ولا تنتصِر.

فكيف لصبيٍّ أن يهزم وحشًا؟

تذكَّر الصُّراخ والجري، وتذكَّر الأطفال الآخَرين يفرُّون ليُحضِروا الأساتذة، وتذكَّر الدَّائرة المحيطة به تتَّسع وتتَّسع إذ حكى الوحش قصَّة ما فعلَه لأجَل الرَّجل الخفي.

- لا عيش *في الخفاء ثانيةً أبدًا*. ما انفكَّ الوحش يُردِّدها وهو ينهال بضرباته على هاري. *لا عيش في الخفاء ثانيةً أبدًا*.

عند نُقطة ما كفَّ هاري عن محاولة المقاومة، حين غدَت ضربات الوحش أقوى من الاحتمال، أكثر من الاحتمال، أسرع من الاحتمال، وعندئذٍ شرِعَ يتوسَّل إلى الوحش أن يتوقَّف.

- *لا عيش في الخفاء ثانيةً أبدًا.* قالها الوحش وقد عتقَه أخيرًا، وبشدَّةٍ كور قبضتين ضخمتين شبيهتين بفروع الشَّجر، قبضتين كقصفٍ الرَّعد.

ثم التفتَ إلى كونر.

- *لكن هنالك أشياءَ أصعب من كون المرء خفيًّا.*

واختفى الوحش إذ قال هذا، تاركًا كونر يقف وحده فوق هاري المرتجف الدَّامي.

جميع الحاضرين كانوا يُحدِّقون إلى كونر، جميعهم يرونه، أعيُنهم كلُّها ناظرة في اتِّجاهه. في قاعة الطَّعام سادَ الصَّمت، صمت أثقل من الممكن في وجود كلِّ هؤلاء الأطفال، وللحظة، قبل أن يفكَّ المعلِّمون الاشتباك (أين كانوا؟ هل منعَهم الوحش من الرُّؤية؟ أم أن ما حدثَ استغرق وقتًا قصيرًا للغاية حقًّا؟)، تناهى إلى المسامع صوت ريحٍ تهبُّ من نافذةٍ مفتوحة، ريح أسقطَت بعض أوراق الشَّجر الصَّغيرة الشَّائكة على الأرض.

ثم وجدَ كونر أيديَ أشخاصٍ كبار تجرُّه بعيدًا.

سألَته المديرة: «ماذا تقول دفاعًا عن نفسك؟».

فهزَّ كونر كتفيه ولم يردَّ.

- «سأحتاجُ إلى ما هو أكثر من هذا. لقد آذيته بشدَّة».

تمتمَ كونر: «لم يكن أنا».

قالت بحدَّة: «ماذا قلت؟».

بصوتٍ أوضح كرَّر كونر: «لم يكن أنا. الوحش هو مَن فعلَها».

ردَّدت: «الوحش».

- «لم ألمس هاري حتى».

صنعَت المديرة شكلًا مثلَّثًا بأطراف أصابعها، وأراحَت مِرفقيها على المكتب ناظرةً نحو المِس كوان، التي قالت: «قاعة طعام بأكملها رأتك تضرب هاري يا كونر. لقد رأوك تطرحه أرضًا، رأوك تدفعه من فوق طاولة، رأوك تضرب رأسه بالأرض». ومالَت إلى الأمام مضيفةً: «وسمعوك تَصرُخ بشيءٍ ما عن كونك مرئيًّا، عن أنك لن تعيش خفيًّا ثانيةً».

أخذَ كونر يقبض يديه ويبسطهما ببُطءٍ شاعرًا بالألم فيهما من جديد، تمامًا كما حدثَ بعد دمار حُجرة جلوس جدَّته.

أكملَت المِس كوان وقد باتَت نبرتها أرقَّ بعض الشَّيء: «أتفهَّمُ الغضب الشَّديد الذي تَشعُر به. إننا لم نستطِع الوصول إلى والديك أو أحدٍ وصي عليك».

قال كونر: «أبي عادَ إلى أمريكا، وجدَّتي بدأت تُغلِق صوت هاتفها كي لا تُوقظ ماما»، وحكَّ ظهر يده مضيفًا: «لكن جدَّتي ستتَّصل بكم على الأرجح».

عادَت المديرة تجلس بحركةٍ ثقيلة قائلةً: «قواعد المدرسة تقضي الطَّرد

الفوري»».

أحسَّ كونر بمعدته تنقبض، بجسده كلّه يرتخي تحت طنٍّ من الوزن الزّائد. ثم إنه أدركَ أن جسده يرتخي لأن الوزن زالَ!

غمرَه الفهم، وغمرَته الرَّاحة، وتمكَّنا منه بقوّةٍ حتى إنه كادَ يبكي هناك في مكتب مديرة المدرسة.

سيُعاقَب، سينال جزاءه أخيرًا، كلُّ شيءٍ سيعود معقولًا، ستَطرُده.

العقاب قادم.

حمدًا لله، حمدًا لله...

ثم أتبعَت المديرة: «ولكن كيف يُمكنني أن أفعل ذلك؟»».

وتجمَّد كونر.

قالت: « كيفَ يُمكنني أن أفعل ذلك وأظلُّ أدعو نفسي بالمعلّمِة وأنت تمرُّ بما تمرُّ به؟»»، وعبسَت مواصلةً: «ومع ما نعرفه عن هاري؟»»، وهزّت رأسها هزّةً خفيفةً قائلةً: «سوف يأتي يوم نتكلَّم فيه عن هذا يا كونر أومالي، وسوف نتكلَّم عنه، صدِّقني»»، وبدأت تجمع ما على مكتبها من أوراق، وأضافَت: «ولكن ليس اليوم»»، ثم قالت وهي ترمقه بنظرةٍ أخيرة: «إن عندكَ أشياءَ أكبر تُفكِّر فيها»».

استغرقَ كونر بُرهةً ليُدرِك أن الأمر انتهى، أن هذا كلَّ شيءٍ ولن ينال غيره.

قال: «لن تُعاقبيني؟».

منحَته المديرة ابتسامةً كئيبةً أقرب إلى الرِّفق، ثم قالت ما سبقَ لأبيه قوله بالضَّبط تقريبًا: «وهل لذلك أيّ جدوى؟».

- • -

اصطحبَته المِس كوان إلى دروسه، وتراجعَ التِّلميذان اللذان مرَّا بهما ملصقَيْن نفسيهما بالجدار ليُفسِحا له الطَّريق.

لمَّا فتحَ الباب نزلَ الصَّمت على الفصل، ولا أحد -بمن في ذلك المعلِّم- لفظَ كلمةً إذ شقَّ طريقه إلى طاولته، وإن بدا أن ليلي الجالسة إلى الطَّاولة المجاورة ستقول شيئًا، لكنها في النِّهاية لم تفعل.

ولم يُكلِّمه أحد طيلة ما تبقَّى من اليوم.

قال الوحش: *هنالك أشياء أصعب من كون المرء خفيًّا*، وكان على حق.

لم يَعُد كونر خفيًّا. كلُّهم يراه الآن.

ولكن لكم اتَّسعت المسافة بينه وبينهم.

قُصاصة

مرَّت أيام قليلة، ثم أيام قليلة أخرى. من الصَّعب معرفة كم يومًا بالضَّبط، فقد بدَت كلُّها لكونر كيومٍ واحد، يومٍ ضبابيٍّ طويل. يستيقظ في الصَّباح فلا تُكلّمه جدَّته، ولا حتى بشأنٍ اتّصال المديرة. يذهب إلى المدرسة حيث لا يُكلّمه أحد كذلك. يزور أمَّه في المستشفى، فيجدها أشد تعبًا من أن تتكلَّم معه. يتَّصل أبوه، وليس لديه ما يقوله.

وعلاوةً على ذلك لا أثر للوحش، لم يظهر منذ الهجوم على هاري، رغم أن من المفترَض أنه دور كونر لحكاية قصَّة. كلَّ ليلةٍ انتظرَ وكلَّ ليلة لم يأتِ الوحش، ربما لأنه يعرف أن كونر يجهل أيَّة قصَّةٍ يحكي، أو أنَّ كونر يعلم لكنه سيرفُض الحكي.

في النّهاية يغيب في النَّومِ، ويأتي الكابوس. الآن يأتي متى نامَ، وأسوأ من قبل إن كان ذلك ممكنًا، فيستيقظ صارخًا ثلاث أو أربع مرَّاتٍ في اللَّيلة، وكانت

إحداها في غاية السُّوء حتى إن جدَّته طرقَت بابه لترى إن كان بخير.

غير أنها لم تَدخُل.

حلَّت عُطلة نهاية الأسبوع وأمضاها في المستشفى، على الرغم من أن دواء أمِه الجديد يأخذ كامل وقته حتى يأتي بنتيجة، وفي تلك

الأثناء أصابَت رئتيْها عدوى، وساءَ ألمها أيضًا فأمسَت تقضي معظم الوقت إمّا نائمةً وإمّا تقول كلامًا غير مترابط بسبب المسكّنات. حينما تكون أمُّه في هذه الحالة تصرفه جدّته خارج الغُرفة، وقد تعوّد التّجوال في طُرقات المستشفى لدرجة أنه في مرّةٍ أرشدَ عجوزًا تائهةً إلى قسم الأشعّة بنجاح.

أتَت ليلي وأمُّها للزّيارة خلال العُطلة أيضًا، لكنه حرَص على قضاء الوقت في قراءة المجلّات في محل الهدايا حتى انصرفَتا.

ثم عادَ بشكلٍ ما إلى المدرسة، ومهما بدا ذلك مذهلًا فقد ظلَّ الوقت يمضي إلى الأمام عند بقيّة العالم.

بقيّة العالم التي لا تنتظر.

كانت المسز مارل تُعيد واجب كتابة الحياة... لكلٍّ من له حياة على أيّة حال. أمّا كونر فاكتفى بالجلوس إلى طاولته مُسندًا ذقنه إلى يده ويَنظُر إلى السّاعة. ساعتان ونصف حتى ١٢:٠٧، ولو أن هذا لن يهمّ غالبًا، فقد بدأ يُفكِّر أن الوحش رحلَ بلا رجعة.

واحد آخَر يأبي أن يُكلِّمه إذن.

سمِعَ مَن يهمس في نطاقه القريب: «أنت». يتهكّم عليه لا شكّ. انظُروا إلى كونر أومالي الجالس في مكانه كالأبله. يا له من مسخ.

- «أنت». سمِعَها ثانيةً، هذه المرّة بالمزيد من الإصرار.

وأدركَ أن هناك مَن يهمس له هو.

تجلس ليلي قُبالته عبر الممرِّ كما جلسَت طوال سنين ذهابهما إلى المدرسة معًا، والآن تُتابِع ببصرها المسز مارل، وإن مدَّت يدها بخجلٍ بقُصاصة ورق.

قُصاصة لكونر.

ولوَّحت بها قائلةً برُكن فمها: «خُذها».

نظرَ كونر ليرى إن كانت المسز مارل تُراقِبهما، فوجدَها مشغولةً بالإعراب عن خيبة أملٍ فاترة لأن حياة سُلي شبيهة للغاية بحياة بطلٍ خارق له علاقة بالحشرات.

مدَّ كونر يده عبر الممرِّ وأخذَ القُصاصة، وكانت مطويَّةً نحو مئتي طيَّةٍ كما بدا، وهو ما جعلَ فتحُها كحلِّ عُقدة. حدجَ ليلي بنظرة ضيق، لكنها ظلَّت تتظاهر بمشاهدة المعلِّمة.

وأخيرًا بسطَ القُصاصة على سطح طاولته وقرأها، ومع كلِّ هذه الطيَّات فإنها لم تحتوِ على أكثر من أربعة سطور.

أربعة سطور، وهبطَ على العالم السُّكون.

- • -

قال السَّطر الأول: *آسفة لأنني أخبرتُ الجميع بشأن أمِّك.*

وقال السَّطر الثَّاني: *أوحشَني أن أكون صديقتك.*

وقال السَّطر الثَّالث: *أأنت بخير؟*

وقال الرَّابع: *أنا أراك*، وقد وُضِعَ تحت *أنا* نحو مئة خط.

قرأها مرَّةً أخرى، ثم مرَّةً أخرى.

ثم نظرَ نحو ليلي المشغولة بتلقِّي الثَّناء من المسز مارل، وإن رأى وجهها مصطبغًا بحُمرةٍ شديدة، وليس فقط لما تقوله المعلّمة.

استأنفَت المسز مارل جولتها متجاوزةً كونر بخفَّة، ولمَّا ذهبَت نظرَت إليه ليلي، في عينيه مباشرةً نظرَت إليه.

وإنها محقَّة. إنها تراه، حقًّا تراه.

اضطرَّ لازدراد لُعابه قبل أن يتكلَّم.

بدأ يقول: «ليلي...»، إلَّا أن باب الفصل انفتحَ، ودخلَت سكرتيرة المدرسة مشيرةً إلى المسز ومارل وهامسةً لها بشيءٍ ما.

ثم التفتَت كلتاهما لتنظُر إلى كونر.

100 سنة

توقَّفت جدَّته أمام غُرفة أمِّه في المستشفى، فسألَها: «ألن تَدخُلي؟».

هزَّت رأسها نفيًا قائلةً: «سأكونُ في غُرفة الانتظار»، وتركَته ليَدخُل وحده.

جثَمَ على معدته إحساس ثقيل خشيةَ ما قد يجده بالدَّاخل. لم يَحدُث من قبل أن انتزعوه من المدرسة في منتصف اليوم، ولا حتى عندما دخلَت أُمُّه المستشفى في عيد الفِصح السَّابق.

تسارعَت في عقله الأسئلة.

أسئلة تجاهلَها.

ودفعَ الباب مترقِّبًا الأسوأ.

على أنه وجدَ أمَّه مستيقظةً، وسريرها في وضع الجلوس. وعلاوةً على ذلك كانت تبتسم، وللحظة قفزَ قلب كونر في صدره. مؤكَّد أن العلاج نجحَ، شجرة الطَّقسوس عالجَتها، الوحش فعلَها...

ثم إنه رأى أن الابتسامة لا تُوافِق النَّظرة في عينيها. إنها سعيدة لمرآه، لكنها خائفة أيضًا، وحزينة، وأشد إرهاقًا مما رآها من قبل، وهو ما يشي بتدهور حالتها.

كما أنهم لن يأخذوه من المدرسة ليُخبِروه بأنها تحسَّنت قليلًا.

قالت: «أهلًا يا بُني»، ولمَّا قالتها امتلأَت عيناها بالدُّموع وسمعَ ما في

نبرتها من ثقل.

وشعرَ كونر بالغضب يشتعل في نفسه ببُطء.

ربَّتت على غطاء الفِراش إلى جانبها قائلةً: «تعالَ».

لكنه لم يجلس هناك، بل ارتمى على مقعدٍ يُجاوِر فِراشها.

- «كيف حالك يا حبيب قلبي؟». خرجَ سؤالها بصوتٍ واهن أشد اهتزازًا مما كان أمس، وقد بدا أن مزيدًا من الأنابيب يغزو جسدها اليوم، يُعطيها أدويةً وهواءً ومَن يدري ماذا أيضًا؟ لم تضع وشاحًا، فظهرَ رأسها الأبيض العَاري من الشَّعر في ضوء الفلورسنت، وأشعرَ المَنظر كونر برغبة تكاد لا تُقاوَم في أن يجد شيئًا ليُغطِّيه، ليحميه قبل أن يرى أحدهم كم يبدو ضعيفًا.

سألَها: «ماذا يحدُث؟ لماذا أخذَتني جدَّتي من المدرسة؟».

- «أردتُ أن أراك، ومع الطَّريقة التي يُرسِلني بها المورفين إلى دُنيا التَّخاريف، لم أدرِ إن كنتَ سأنالُ الفُرصة لاحقًا».

ربَّع كونر ذراعيه بقوَّة أمام نفسه، وقال: «تكونين مستيقظةً في المساء أحيانًا. كان يُمكنُ أن تريني اللَّيلة».

عرفَ وهو يقولها أنه يُلقي سؤالًا، وعرفَت هي أيضًا.

وهكذا، حين عادَت تتكلَّم، عرفَ أنها تُعطيه إجابةً.

قالت: «أردتُ أن أراك الآن يا كونر»، ومرَّةً أخرى خرجَ صوتها

ثقيلًا ولاحَ البلل في عينيها.

بحدَّةٍ أبلغ كثيرًا مما انتوى قال كونر: «هذه هي المحادثة، أليس كذلك؟ هذه...».

ولم يُنهِ الجملة.

- «انظُر إليَّ يا بُني». قالتها لأنه كان يُحدِّق إلى الأرض، وبتؤدةٍ رفعَ عينيه إليها ليراها تمنحه ابتسامةً في غاية الإنهاك، ويرى كم هي مضغوطة في وسائدها كأنها لا تتمتَّع بمجرَّد القُدرة على رفعِ رأسها، وإذا به يُدرِك أنهم رفعوا الفِراش لأنه لولا هذا لما استطاعت النَّظر إليه.

أخذَت نفسًا عميقًا لتتكلَّم، فأدَّى هذا إلى نوبة سُعالٍ ثقيلة رهيبة، واستغرقَت لحظاتٍ طويلةً أخرى حتى قويَت على معاودة الكلام.

بصوت واه قالت: «لقد تكلَّمتُ مع الدكتور هذا الصَّباح. العلاج الجديد لا يأتي بنتيجة يا كونر».

- «المصنوع من شجرة الطَّقسوس؟».

- «نعم».

تساءلَ عابسًا: «كيف يُمكن ألَّا يأتي بنتيجة؟».

ابتلعَت ريقها قائلةً: «الأمور تطوَّرت بسرعةٍ شديدة. كان الأمل ضعيفًا، والآن هناك هذه العدوى...».

- «كيف يُمكن ألّا يأتي بنتيجة؟». ردّد كونر السُّؤال كأنما يُخاطِب أحدًا آخَر.

قالت أُمُّه محتفظةً بابتسامتها الحزينة: «أعرفُ. لقد اعتدتُ النَّظر إلى شجرة الطَّقسوس تلك كلَّ يومٍ شاعرةً بأن لي صديقًا سيُساعِدني إذا بلغَت الأمور أسوأها».

قال كونر من دون أن يحلَّ ذراعيه: «لكنه لم يُساعِدكِ».

هزَّت أُمُّه رأسها هزَّةً خفيفةً وعلى وجهها نظرة قلق، وفهمَ كونر أنها قلقة عليه هو.

- «ما الخُطوة التَّالية إذن؟ ما العلاج التَّالي؟».

لم تُجِبه، وكان هذا في حدِّ ذاته جوابًا.

فقالها كونر بصوتٍ مرتفع على كلِّ حال: «لم يَعُد هناك علاج».

بدأت الدُّموع تتسلَّل مِن عينَي أُمِّه، وإن حافظَت على ابتسامتها وهي تقول: «أنا آسفة يا بُني. لم أشعر بمثل هذا الأسف طوال حياتي».

عادَ كونر يَرمُق الأرض شاعرًا كأنه عاجز عن التَّنفُّس، كأن الكابوس يعتصر منه الأنفاس اعتصارًا، وقال بصوتٍ مخنوق: «قلتِ إنه سينجح».

- «أعرفُ».

- «قلتِ هذا! آمنتِ بأنه سينجح!».

- «أعرِفُ».

قال رافعًا عينيه إليها ثانيةً: « كذبتِ عليَّ، كنتِ تكذبين طيلة الوقت».

ردَّت: «لقد آمنتُ بنجاحه فعلًا، وهذا على الأرجح ما جعلَني أستمرُّ حتى الآن يا كونر، أن أومن به لتُؤمِن به أنت».

ثم مدَّت يدها إلى يده، إلَّا أنه سحبَها.

كرَّر: « كذبتِ عليَّ».

قالت أمُّه: «أظنُّك كنت تعلم في أعماق قلبك من البداية، أليس كذلك؟».

فلم يُجِبها كونر.

تابعَت: «لا بأس بأن تغضب يا حبيب قلبي، لا بأس حقًّا»، وأطلقَت ضحكةً قصيرةً مضيفةً: «أنا أيضًا غاضبة جدًّا في الحقيقة، لكنني أريدك أن تعلم هذا يا كونر، من المهم أن تُصغي إليَّ. أأنت مصغٍ؟»، ومدَّت يدها إليه مرَّةً أخرى، فمرَّت ثانية ثم تركَها تُمسِك يده، وإن كانت قبضتها ضعيفةً للغاية، ضعيفةً للغاية.

- «اغضب قدر احتياجك إلى الغضب. لا تدع أحدًا يُخبِرك بشيءٍ آخَر، لا جدَّتك ولا أباك، لا أحد. وإذا وجدت نفسك في حاجةٍ إلى تحطيم الأشياء، فبالله عليك حطِّمها تحطيمًا».

لم يستطِع النَّظر إليها، حقًّا لم يستطِع.

واصلَت وهي تبكي الآن بالفعل: «وإذا حدثَ يومًا أن نظرت وراءك وشعرت بالأسف لغضبك، إذا شعرت بالأسف لغضبك الشديد مني لدرجة أنك لم تستطِع أن تُكلِّمني، فيجب أن تعرف يا كونر، يجب أن تعرف أن لا بأس بغضبك، لا بأس، أنني كنتُ أعرفُ، أنني أعرفُ، مفهوم؟ أعرفُ كلَّ ما تُريد أن تقوله لي من غير أن تقوله، اتَّفقنا؟».

لا يزال غير قادرٍ على النَّظر إليها، لا يستطيع أن يرفع رأسه الثَّقيل للغاية، يَشعُر بأنه مقسوم، كأنما يُمزَّق من المنتصف.

لكنه أومأ برأسه.

- • -

سمِعَها تُطلِق تنهيدةً طويلةً مصحوبةً بصفيرٍ متقطِّع، وسمِعَ ما حملَته في آنٍ واحدٍ من ارتياحٍ وإعياء.

ثم قالت أمُّه: «آسفة يا بُني، أحتاجُ إلى المزيد من المسكِّنات».

تركَ يدها لتمدَّها وتضغط زرَّ الآلة التي أعطَتها لها المستشفى لتضخَّ فيها مسكِّناتٍ في غاية القوَّة، تجعلها لا تقدر على البقاء مستيقظةً.

لمَّا فرغَت أمسكَت يده ثانيةً، وقالت بمنتهى الهدوء: «ليت عندي مئة سنة، مئة سنة أعطيها لك».

لم يردَّ، وبعد ثوانٍ قليلة أرسلَها الدَّواء إلى عالم النَّوم، لكن ذلك لم يهم.

لقد خاضا المحادثة.

ولم يَعُد هناك ما يُقال.

بعد بعضِ الوقت -لا يدري كونر كم- أدخلَت جدَّته رأسها من الباب ونادَته.

قال بخفوت: «أريدُ أن أذهب إلى المنزل».

- «كونر...».

رفعَ رأسه بعينين محمرَّتين من الأسى، من الخزي، من الغضب، وأردفَ: «إلى منزلي، حيث شجرة الطَّقسوس».

ما فائدتك؟

أنزلَته جدَّته عند منزله قائلةً: «سأرجعُ إلى المستشفى يا كونر. لا أحبُّ أن أتركها في هذه الحالة. ما الشيء المهم الذي يلزمك؟».

- «هناك ما يجب أن أفعله». قالها كونر رامقًا المنزل الذي عاشَ فيه حياته كلَّها، وقد بدا له خاويًا غريبًا رغم أن وقتًا طويلًا لم يمضِ منذ غادرَ.

وأدركَ أنه لن يعود منزله ثانيةً أبدًا على الأرجح.

قالت جدَّته: «سأرجعُ خلال ساعة لآخذك. سنتناوَل العَشاء في المستشفى».

لم يُصغِ كونر إليها، إذ كان يُغلِق باب السيَّارة وراءه بالفعل.

نادَته جدَّته عبر الباب المغلق: «ساعة واحدة. ستُريد أن تكون موجودًا هناك اللَّيلة».

وواصلَ كونر صعود درجات منزله الأماميَّة.

ثانيةً نادَته جدَّته، إلَّا أنه لم يلتفت.

وبالكاد سمعَها تَخرُج بالسيَّارة إلى الشَّارع وتبتعد.

- • -

داخل المنزل تفوح رائحة الغُبار والهواء الفاسد. لم يُكلِّف نفسه مجرَّد إغلاق الباب من ورائه، واتَّجه مباشرةً إلى المطبخ لينظُر من النَّافذة.

ها هي ذي الكنيسة فوق قمّة الرّبوة، ها هي ذي شجرة الطّقسوس تقف حارسةً على المقبرة.

خرجَ كونر إلى الحديقة الخلفيّة، وقفزَ فوق الطّاولة التي اعتادَت أمّه الجلوس إليها بزجاجةٍ من مشروب «پيمز» في الصّيف، ثم رفعَ نفسه من فوق السّياج الخلفي. لم يفعل هذا منذ كان صغيرًا للغاية، منذ زمنٍ طويلٍ جدًّا حتى إن أباه هو من عاقبَه وقتها. ما زالَت الفتحة في الأسلاك الشّائكة عند خطّ السكّة الحديد موجودةً، وقد اعتصرَ جسده عبرها ممزّقًا قميصه ولم يُبالِ.

عبرَ القضبان ملقيًا بالكاد نظرةً ليرى إن كان قطار قادمًا، ثم قفزَ من فوق سياجٍ آخَر ليجد نفسه عند سفح الرّبوة التي تقود إلى الكنيسة، فقفزَ من فوق السّور الحجري الواطئ المحيط بها، وبدأ يصعد بين شواهد القبور مبقيًا الشّجرة في مرمى بصره طوال الوقت.

وطوال الوقت ظلّت شجرةً.

بدأ كونر يجري.

ومن قبل أن يَبلُغها بدأ يصيح: «استيقِظ! استيقِظ!».

ثم إنه وصلَ إلى الجذع وراحَ يَركُله قائلًا: «قلتُ استيقِظ! لا أبالي بالوقت!».

وعادَ يَركُل الشّجرة.

وبمزيدٍ من القوّة.

ومرَّةً أخرى.

وانزاحَت الشَّجرة عن طريقه بسرعةٍ أفقدَته توازُنه وأسقطَته أرضًا.

وقال الوحش مرتفًا فوقه: *ستُؤذي نفسك إذا استمررت في هذا.*

نهضَ كونر زاعقًا: «الدَّواء لم ينجح! قلتَ إن شجرة الطَّقسوس ستُعالجها ولم تفعل!».

- *قلتُ إنه إذا كان علاج أمِّك ممكنًا فستُعالِجها شجرة الطَّقسوس، ويبدو أن علاجها لم يكن ممكنًا.*

تصاعدَ الغضب إلى أعلى فأعلى في صدر كونر ضاربًا قلبه بضلوعه، وانقضَّ على ساق الوحش منهالًا باللَّكمات على اللِّحاء، لتبرُز في كلتا يديه الرُّضوض في الحال تقريبًا. «عالِجها! يجب أن تُعالِجها!».

- كونر.

استمرَّ في الضَّرب قائلًا: «ما فائدتك إن كنت لا تستطيع علاجها؟ ليس عندك إلَّا القصص السَّخيفة وإيقاعي في المتاعب وجعل الجميع يَنظُرون إليَّ كأنني أحملُ مرضًا...».

وبترَ عبارته لأن الوحش مدَّ يده وانتزعَه من فوق الأرض إلى الهواء، وقال ناظرًا إليه بجدِّيَّة: *أنت الذي ناديتني يا كونر أومالي. أنت مَن يملك إجابات هذه الأسئلة.*

كان وجه كونر حُمرةً تغلي بدموعٍ يكاد لا يعي أنها تنهمر غاضبةً على

وجنتيه. «إن كنتُ ناديتك فقد فعلتُ هذا لتُنقِذها! لتُعالِجها!».

أصدرَت أوراق الشَّجرة حفيفًا كأن الرِّياح تُحرِّكها بتنهيدة طويلة بطيئة، وقال الوحش: *لم أجئ لأعالجها، بل جئتُ لأعالجك أنت.*

كفَّ كونر عن التَّلوّي في يد الوحش، وقال: «أنا؟ أنا لستُ محتاجًا إلى علاج. أمِّي هي التي...».

لكنه عجِزَ عن قولها. حتى الآن يعجز عن قولها، على الرغم من أنهما خاضا المحادثة، على الرغم من أنه من البداية يعلم ما سيحدث... لأنه كان يعلم بالطَّبع، بالطَّبع كان يعلم مهما أرادَ أن يُصدِّق أن ما سيَحدُث لن يَحدُث، بالطَّبع كان يعلم. ومع ذلك لا يقدر على قولها.

لا يقدر على قول إنها...

جالَت هذه الأفكار بباله وهو يبكي بحرارةٍ ويتنفَّس بصعوبة، شاعرًا كأنه ينشقُّ من الدَّاخل، كأن بعضَ جسده يتخلـع من بعض.

رفعَ ناظريْه إلى الوحش، وبخفوتٍ قال: «ساعِدني».

قال الوحش: *حانَ وقت الحكاية الرَّابعة.*

أطلقَ كونر صيحةً غاضبةً قائلًا: «لا! ليس ذلك ما أعنيه! هناك أشياء أخرى أهم تَحدُث!».

- *نعم، نعم، هناك.*

قالها الوحش وفتحَ يده الحُرَّة.

ومن جديدٍ أحاطَ بهما الضَّباب.

ومرَّةً أخرى أصبحا في قلب الكابوس.

الحكاية الرَّابعة

حتى ويد الوحش القويَّة الضَّخمة تُمسكه، شعرَ كونر بالهلع يتسرَّب إليه، بالسَّواد الحالك يبدأ في مَلء رئتيه وخنقه خنقًا، بمعدته تنقلب...

صاحَ معاودًا التَّلوّي: «لا! لا! أرجوك!»، لكن الوحش تمسَّك به بشدَّة.

الرَّبوة والكنيسة والمقبرة كلُّها اختفى، وحتى الشَّمس احتجبَت تاركةً إياهما وسط ظُلمةٍ باردة، ظُلمة تبعَت كونر منذ دخلَت أُمُّه المستشفى أول مرَّة، من قبل ذلك حين بدأت جلسات العلاج التي جعلَت شعرها يَسقُط، من قبل ذلك حين أصابَتها إنفلونزا لم تخِفَّ حتى ذهبَت إلى طبيبٍ أخبرَها بأنها ليست إنفلونزا على الإطلاق، بل ومن قبل ذلك حين بدأت تشكو من التَّعب الذي لا يُبارِحها، وحتى من قبل كلِّ ذلك، منذ الأزل كما يُخيَّل إليه، ومنذ ذلك الحين الكابوس حاضر، يتبعه بإصرار، يُطوِّقه، يعزله، يجعله وحيدًا. يُشعِره كأنه لم يُوجد في مكانٍ آخَر قَطُّ.

هتفَ: «أخرِجني من هنا! أرجوك!».

كرَّر الوحش: *حانَ وقت الحكاية الرَّابعة.*

بعقلٍ يتخبَّط خوفًا قال كونر: «لا أعرفُ أيَّ حكايات!».

قال الوحش: *إن لم تحكِها لي فسأضطرُّ لحكيها لك*، وقرَّب كونر

من وجهه مضيفًا: *وصدّقني عندما أقولُ إنك لا تُريد ذلك.*

- «أرجوك. يجب أن أعود إلى أمّي».

ردَّ الوحش دائرًا في الظَّلام: *لكنها هنا بالفعل.*

وضعَه الوحش على حين غرَّةٍ بحركةٍ أقرب إلى إسقاطه أرضًا، وحطَّ كونر متعثِّرًا إلى الأمام.

تعرَّف الأرض الباردة تحت قدميه، وتعرَّف الفسحة التي يقف فيها وتحدُّها من ثلاث جهاتٍ غابة مظلمة غير قابلة للاجتياز، وتعرَّف الجهة الرَّابعة، الجُرف المفتوح على هاويةٍ غارقة في الظَّلام.

وعلى حافة الجُرف تقف أمُّه.

كانت تُوليه ظهرها، لكنها تَنظُر من فوق كتفها مبتسمةً، وقد بدَت ضعيفةً كما رآها في المستشفى، وإن لوَّحت له بصمت.

مثلما يَحدُث كلَّما بدأ الكابوس، شعرَ بنفسه أثقل من أن يستطيع الوقوف وهو يصيح: «ماما! يجب أن تبتعدي عن هنا!».

لم تحرَّك أمُّه، ولو أنها بدَت قلقةً بعض الشَّيء مما قاله.

مشدودًا من فرط الجهد، جرَّ كونر نفسه إلى

الأمام ماضيًا في تحذيره: «ماما، يجب أن تَهرُبي!».

قالت: «أنا بخير يا حبيبي. ليس هناك

ما يستدعي القلق».

- «ماما، اهرُبي! أرجوكِ اهرُبي!».

- «ولكن يا حبيبي ليس...».

ولم تُكمِل أمُّه عبارتها إذ عادَت تلتفت إلى حافة الجُرف كأنها سمعَت شيئًا.

همسَ كونر لنفسه: «لا»، وشدَّ نفسه إلى الأمام أكثر، إلَّا أنها بعيدة للغاية، أبعد من أن يَبلُغها في الوقت المناسب، كما أنه يَشعُر بثقلٍ شديد...

صدرَ صوت خفيض من أسفل الجُرف، صوت هادر مدوٍّ.

كأن شيئًا كبيرًا يتحرَّك بالأسفل.

شيئًا أكبرَ من العالم.

وهذا الشَّيء يتسلَّق وجه الجُرف.

نظرَت أمُّه إليه ثانيةً، وقالت: «كونر؟».

لكن كونر عرفَ أن الأوان فاتَ.

والوحش الحقيقي قادم.

أجبرَ كونر نفسه على النُّهوض مقاومًا الوزن الخفيَّ الذي يُثقِله، وهتفَ: «ماما! ماما!».

وهتفَت أمُّه متراجعةً عن حافة الجُرف: «كونر!».

لكن الهدير تعالى، وظلَّ يتعالى ويتعالى.

- «ماما!».

كان يعلم أنه لن يصل في الوقت المناسب.

لأن سحابةً من الظُّلمة المشتعلة جأرَت رافعةً قبضتين عملاقتين فوق قمَّة الجُرف، ولوهلة طويلة حامَت القبضتان في الهواء فوق أمِّه التي تُحاوِل التَّراجُع متعثِّرةً.

لكنها ضعيفة للغاية، ضعيفة ضعفًا مريعًا.

وبانقضاضةٍ عنيفة انخفضَت القبضتان

وأطبقَتا عليها في آنٍ واحد وبدأتا تسحبانها

إلى الحافة.

وأخيرًا استطاعَ كونر أن يجري. صائحًا بأعلى

صوته، انطلقَ يعدو عبر الفسحة بسرعةٍ

كادَت تُوقِعه، وألقى نفسه نحوها، نحو يديها

الممدودتين إذ سحبَتها قبضتا الظَّلام من

فوق الحافة.

وقبضَت يداه على يديها.

هذا هو الكابوس، هذا هو الكابوس الذي يوُقِظه صارخًا كلَّ ليلة، هذا هو ما يَحدُث هنا والآن.

كان على حافة الهاوية، يُثبِّت نفسه متشبِّثًا بيدَي أمِّه بكلِّ ما أوتيَ من قوَّة، يُحاوِل إنقاذها من أن تُسحَب إلى السَّواد، تُسحَب بقبضتَي الكائن أسفل الجُرف.

الذي يراه بأكمله الآن.

الوحشِ الحقيقي، الوحش الذي يخشاه حقًّا، الذي توقَّع أن يراه حين ظهرَت شجرة الطَّقسوس للمرَّة الأولى.

وحش الكابوس هذا تكوينه سحابٌ ورمادٌ ولهبٌ قاتم، لكن له عضلاتٍ حقيقيَّةً، وقوَّةً حقيقيَّةً، وعينين حمراوين حقيقيَّتين تَرمُقانه بشراسة، وأسنانًا لامعةً كفيلةً بالتهام وحشه هو حيًّا.

في اللَّيلة الأولى قال كونر للوحش: «لقد رأيتُ ما هو أسوأ».

وها هو ذا الأسوأ.

صرخَت أمُّه: «ساعِدني يا كونر! لا تُفلِتني!».

أجابَها صارخًا: «لن أفعل! أعدكِ!».

أصدرَ وحش الكابوس هديرًا وجذبَ بقوَّةٍ أكبر بقبضتين مشدودتين حول جسد أمّ كونر، وبدأت تفلت منه.

- «لا!».

وصرخَت أمُّه المذعورة: «أرجوك يا كونر! تمسَّك بي!».

صاحَ: «سأفعلُ!»، والتفتَ إلى شجرة الطَّقسوس الواقفة بلا حراكٍ قائلًا: «ساعِدني! لا يُمكنني التَّمسُّك بها!».

لكن الشَّجَرة ظلَّت واقفةً تتفرَّج.

صرخَت أمُّه: «كونر!»، وكانت يداها تنزلقان.

صرخَت ثانيةً: «كونر!».

وصرخَ مشدِّدًا قبضتيه: «ماما!».

لكن يديها كانتا تفلتان منه بالفعل، ووزنها يزداد ويزداد ثقلًا، والوحش يجذب بقوّةٍ أكبر فأكبر.

- «إنني أنزلقُ!».

- «لا!».

سقطَ على صدره من ثقل وزنها وقبضتَي الكابوس اللتين تسحبانها. وصرخَت أمُّه ثانيةً، وثانيةً.

وجسدها ثقيل للغاية، ثقيل لدرجةٍ مستحيلة.

وهمسَ كونر لنفسه: «أرجوك، أرجوك».

ثم سمعَ شجرة الطَّقسوس تقول من خلفه: *وهذه هي الحكاية الرَّابعة.*

زعقَ كونر: «اصمُت! ساعِدني!».

- هذه هي حقيقة كونر أومالي.

وكانت أمُّه تَصرُخ.

وكانت تنزلق.

والتَّمسُّك بها شاقٌّ للغاية.

قالت شجرة الطَّقسوس: *الآن وإلَّا فلا. يجب أن تقول الحقيقة.*

ردَّ كونر بصوتٍ مكسور: «لا!».

- يجب.

ناظراً إلى وجه أمِّه أسفله كرَّر كونر: «لا!»...

لحظة أن أتت الحقيقة فجأةً...

لحظة أن بلغَ الكابوس ذُروته...

ومرَّةً أخرى صرخَ كونر: «لا!»...

وسقطَت أمُّه.



تكملة الحكاية

الرَّابعة

هذه هي اللَّحظة التي يستيقظ فيها عادةً. عندما تَسقُط أُمُّه صارخةً وقد

فلتَت منه، تَسقُط في الهاوية وقد أخذَها الكابوس وضاعَت إلى الأبد،

عادةً يعتدل جالسًا في فِراشه، يتصبَّب عرقًا

ويدقُّ قلبه بعُنفٍ يُخيِّل إليه أنه سيموت.

غير أنه لم يستيقظ.

ظلَّ الكابوس يُحيط به، وظلَّت شجرة

الطَّقسوس واقفةً وراءه.

- الحكاية لم تُحكَ بعدُ.

نهَض كونر على ساقين مهزوزتين قائلًا: «أخرِجني من هنا. يجب أن أذهب لأرى أمِّي».

قال وحشه الأصلي: *أمُّك لم تَعُد هنا*

يا كونر. أنت تركتها.

قال كونر لاهثًا بشدَّة: «هذا مجرَّد كابوس، ليس الحقيقة».

- *إنها الحقيقة، وأنت تعلم هذا. لقد تركتها.*

- «لقد سقطَت. لم أعُد أستطيعُ التَّمسُّك بها. وزنها صارَ ثقيلًا جدًّا».

- *وأنت تركتها.*

مرَّةً أخرى قال كونر بنبرةٍ ترتفع مدانيةً اليأس: «لقد سقطَت!».

كان التُّراب القذر والرَّماد اللذان أخذا أمَّه يزحفان عائدَيْن على وجه الجُرف في خيوطٍ ملتوية من الدُّخان، دُخانٍ لم يقدر على منع نفسه من تنفُّسه، فدخلَ أنفه وفمه مثل الهواء ليُفعِمه ويَخنُقه، ورغمًا عنه كافحَ كونر ليلتقط أنفاسه.

قال الوحش: *تركتها.*

هتفَ كونر وصوته يتصدَّع: «لم أتركها! لقد سقطَت!».

ارتفعَ الوحش فوقه بخطورة، وأمسى صوته مخيفًا على نحوٍ لم يسمعه كونر من قبل وهو يقول: *يجب أن تقول الحقيقة وإلَّا فلن تَخرج من هذا الكابوس أبدًا. ستبقى حبيسًا وحدك هنا ما حييت.*

صاحَ كونر محاولًا التَّراجُع: «أرجوك دعني أرحلُ!»، ثم صرخَ رُعبًا إذ رأى خيوط الكابوس تلفُّ أنفُسها حول ساقيه، وطرحه الدُّخان أرضًا وبدأ يلفُّ نفسه حول ذراعيه أيضًا. «ساعِدني!».

قال الوحش بنبرةٍ صارمة مخيفة: *قُل الحقيقة أو ابقَ هنا إلى الأبد.*

صرخَ كونر مقاومًا الخيوط بيأس: «أيَّة حقيقة؟ لا أدري ما تعنيه!».

انبثقَ وجه الوحش من السَّواد بغتةً على بُعد بوصاتٍ معدودة من وجه كونر، وقال بصوتٍ خفيض منذر بالويل: *بل تدري*.

وسادَ صمتٌ مفاجئ.

لأن نعم، كونر يعلم.

كان يعلم دائمًا.

الحقيقة.

الحقيقة الفعليَّة التي أدركَها من الكابوس.

قال بخفوتٍ والسَّواد يلفُّ نفسه حول عُنقه: «لا. لا، لا أستطيعُ».

- يجب.

- «لا أستطيعُ!».

قال الوحش: *بل تستطيع*، وكان في صوته شيء مختلف، لمحة من شيءٍ ما.

من الرِّفق.

بدأت عينا كونر تمتلئان بالدُّموع، ثم انهمرَت الدُّموع على وجنتيه ولم يقدر على كبتها، لم يقدر على مجرَّد مسحها لأن خيوط الكابوس تُقيِّده الآن وتكاد تحتويه بالكامل.

- «أرجوكَ لا تُجبِرني، أرجوكَ لا تُجبِرني على القول».

قال الوحش: *تركتها.*

هزَّ كونر رأسه قائلًا: «أرجوك...».

ردَّد الوحش: *تركتها.*

وأغلقَ كونر عينيه بقوَّة.

لكنه أومأ برأسه إيجابًا.

- *كان يُمكنك أن تتمسَّك بها وقتًا أطول، لكنك تركتها تَسقُط، أرخيت قبضتك وسمحت للكابوس بأخذها.*

عادَ كونر يُومئ ووجهه متقلِّص من الألم والبُكاء.

- *أردتها أن تَسقُط.*

ردَّ كونر من بين دموعه: «لا».

- *أردتها أن ترحل.*

- «لا!».

- *يجب أن تقول الحقيقة ويجب أن تقولها الآن يا كونر أومالي. قُلها، يجب أن تقولها.*

هزَّ كونر رأسه ثانيةً وقد أطبقَ فمه عن آخِره، لكنه شعرَ بحريقٍ في صدره كأن أحدهم أشعلَ فيه نارًا أو أضاءَ شمسًا منمنمةً تضطرم وتحرقه من الدَّاخل.

شهقَ قائلًا: «سيقتلني أن أقولها».

- *سيَقتُلك ألّا تقولها. يجب أن تقولها.*

- «لا أستطيعُ!».

- *أنت تركتها. لماذا؟*

الآن يلفُّ السَّواد نفسه حول عينَي كونر ويسدُّ أنفه ويكتم فمه، فيشهق محاولًا التَّنفُّس ولا يقدر. إنه يَخنُقه، يَقتُله...

قال الوحش بشراسة: *لماذا يا كونر؟ أخبِرني لماذا! قبل فوات الأوان!*

وتأجَّجت النَّار في صدر كونر فجأةً واستعرَت كأنها ستأكله حيًّا. إنها الحقيقة وهو يعلم هذا. في حلقه وُلِدَ أنين، أنين ارتفعَ مستحيلًا إلى صيحة ثم صرخة مدوِّية بلا كلمات، وانفتحَ فمه ومنه تدفَّقت النَّار ملتهمةً كلَّ شيءٍ وآتيةً على السَّواد وعلى شجرة الطَّقسوس التي شبَّ فيها اللَّهب مع بقية العالم، يحرقها إذ صرخَ كونر وصرخَ وصرخَ ألمًا وحرقةً...

ثم قالها.

قال الحقيقة.

حكى بقيَّة الحكاية الرَّابعة.

وفيما ثارَت ثائرة النَّار من حوله صاحَ: «لم أعد أحتملُ! لا أحتملُ

معرفة أنها سترحل! أريدُ أن ينتهي الأمر فحسب! أريده أن يتمَّ!».

ثم التهمَت النِّيران العالم مفنيةً كلَّ شيء، مفنيةً إياه.

وبارتياحٍ رحَّب بها، لأنه -أخيرًا- ينال العقاب الذي يستحقُّه.

الحياة بعد الموت

فتحَ كونر عينيه، ووجدَ نفسه مرتميًا على عُشب الرَّبوة المرتفعة فوق منزله.

وما زالَ حيًّا.

وهذا أسوأ ما يُمكن أن يَحدُث.

دمدمَ واضعًا وجهه في يديه: «لِمَ لم يَقتُلني؟ إنني أستحقُّ ألعن عقاب».

علَّق الوحش الواقف فوقه: حقًّا؟

مكافحًا للفظ الكلام، قال كونر ببُطءٍ وألم: «إنني أفكِّرُ في هذا منذ فترةٍ طويلة للغاية. لقد علمتُ دائمًا أنها لن تنجو، من البداية تقريبًا. لم تقلْ إنها تحسَّن إلَّا لأنني أردتُ أن أسمع ذلك، وصدَّقتها... لكنني لم أصدِّقها حقًّا».

- نعم.

ابتلعَ كونر لُعابه وهو لا يزال يُكافح ليتكلَّم، ثم تابعَ: «وبدأتُ أفكِّرُ كم أريدُ أن ينتهي الأمر، كم أريدُ أن أكفَّ عن التَّفكير فيه رغمًا عني، أفكِّرُ أنني لم أعد أطيقُ الانتظار أو أطيقُ الوحدة التي يُشعِرني بها».

الآن بدأ يبكي حقًّا، بحرارةٍ أشد مما بكى من قبل، بل بحرارةٍ أشد من بُكائه عندما عرفَ بمرضِ أمِّه.

- وتمنّى جزء منك أن ينتهي الأمر، حتى إن كان معنى ذلك أن تفقدها.

أومأ كونر برأسه، بالكاد يقوى على الكلام.

- وبدأ الكابوس، الكابوس الذي ينتهي دومًا بـ..

قال كونر مخنوقًا: «لقد تركتها. كان بإمكاني التمسُّك بها لكنني تركتها».

قال الوحش: *وهذه هي الحقيقة.*

ارتفعَ صوت كونر قائلًا: «لكنني لم أقصد! لم أقصد أن أتركها! والآن يَحدُث هذا في الواقع! الآن سَتموت والغلطة غلطتي!».

قال الوحش: *أمَّا هذه فليست الحقيقة على الإطلاق.*

كانت حرقة كونر شيئًا ماديًّا ملموسًا، مُطبقةً عليه كالكُلَّابة ومشدودةً حوله كالعضلة، حتى إنه يستطيع التنفُّس بصعوبة من جهد المحاولة المفرط، وهكذا تهاوى على الأرض من جديدٍ متمنِّيًا أن تبتلعه بلا رجعة.

بوعي يتسرَّب منه أحسَّ بيدَي الوحش الضَّخمتيْن تحملانه مكوِّنتيْن عُشًّا صغيرًا يحتويه، وبإبهام شديد أدركَ أن الفروع والأوراق تلتوي من حوله لتصير أعرض وأكثر لينًا ليستطيع التمدُّد عليها.

ردَّد كونر: «إنها غلطتي. لقد تركتها. إنها غلطتي».

قال الوحش بصوتٍ يسبح في الهواء حوله كالنَّسيم: ليست غلطتك.

- «بل هي غلطتي».

- لم تكن ترجو إلَّا نهايةً للألم، نهايةً لألمك والعُزلة التي تسبَّب فيها. إنه أكثر رجاءٍ إنساني على الإطلاق.

- «لم أقصد».

- بل قصدت، لكنك لم تقصد كذلك.

تنشَّق كونر ورفعَ عينيه إلى وجه الوحش الكبير أمامه كجدار، وسألَه: «كيف يصحّ هذا وذاك في آنٍ واحد؟».

- لأن البشر مخلوقات معقَّدة. كيف يُمكن أن تكون ملكةٌ ساحرةً طيِّبةً وساحرةً شرِّيرةً معًا؟ كيف يمكن أن يكون أميرٌ قاتلًا ومنقذًا؟ كيف يُمكن أن يكون عطَّارٌ فاسد المزاج لكن سليم التَّفكير؟ كيف يُمكن أن يكون قسٌّ خاطئ التَّفكير لكن طيِّب القلب؟ كيف يُمكن للخفيِّين أن يجعلوا وحدتهم أقسى بجعل النَّاس يرونهم؟

هزَّ كونر كتفيه بإنهاك، وقال: «لا أدري. لم أستطِع أن أعقل قصصك قطُّ».

- الإجابة أن أفكارك لا تهمُّ، لأن عقلك يُناقِض نفسه مئة مرَّةٍ في اليوم. لقد أردتها أن ترحل في الوقت نفسه الذي استمتَّ فيه على فكرة إنقاذي إياها. عقلك يُصدِّق الأكاذيب المريحة، وفي الآن نفسه يعلم حقائق مؤلمةً تجعل تلك الأكاذيب ضروريَّةً، ومن ثمَّ يُعاقِبك على

اعتقاد هذا وذاك.

سألَه كونر بنبرةٍ خشنة: «ولكن كيف تُقاوِم هذا؟ كيف تُقاوِم كلَّ الأشياء المختلفة في داخلك؟».

أجابَ الوحش: *بقول الحقيقة، مثلما قلتها الآن.*

ثانيةً استعادَ كونر في مخيِّلته يدَي أمِّه وقبضتيه إذ أفلتَها...

وقال الوحش برفق: *كَفَّ عن هذا يا كونر أومالي. لهذا السَّبب جئتُ أسعى، لأخبرك بهذا من أجل أن يندمل جرحك. يجب أن تصغي.*

عادَ كونر يبتلع ريقه، ثم قال: «أنا مصغٍ».

- *إنك لا تكتُب حياتك بالكلمات، بل تكتُبها بالأفعال. لا يهمُّ ما تُفكِّر فيه. الشَّيء المهمُّ الوحيد هو ما تفعله.*

سادَ صمت طويل فيما التقطَ كونر أنفاسه مجدَّدًا.

وفي النِّهاية سألَ: «ماذا أفعلُ إذن؟».

قال الوحش: *تفعل ما فعلته الآن، تقول الحقيقة.*

- «أهذا كلُّ شيء؟».

رفعَ الوحش حاجبيْن هائليْن قائلًا: *أتحسب الأمر سهلًا؟ لقد آثرتَ الموت على قولها.*

خفضَ كونر بصره إلى يديه وقد بسطَهما أخيرًا، وقال: «لأن ما

فكَّرتُ فيه كان خطأً».

- لم يكن خطأً. كانت مجرَّد فكرة، واحدة من مليون، ولم تكن فعلًا.

أطلقَ كونر زفيرًا طويلًا جدًّا لا يزال ثقيلًا.

لكنه لا يختنق، والكابوس لا يُفعِمه ويعتصر صدره ويجرُّه إلى أسفل.

الحقيقة أنه لم يَعُد يَشعُر بالكابوس بالمرَّة.

قال واضعًا رأسه بين يديه: «أنا في غاية التَّعب، في غاية التَّعب من كلِّ هذا».

قال الوحش: نَم إذن. هناك وقت.

تمتمَ كونر وقد صارَ عاجزًا فجأةً عن فتح عينيه: «حقًّا؟».

بدَّل الوحش شكل يديه أكثر، مضفيًا على عُشِّ الأوراق الذي يتمدَّد فيه كونر المزيد من الرَّاحة.

قال محتجًّا: «أريدُ أن أرى أمِّي».

- ستراها، أعدك.

فتحَ كونر عينيه، وسألَه: «هل ستكون موجودًا؟».

- أجل. ستكون الخطوات الأخيرة في سعيي.

شعرَ كونر بنفسه يغوص في تيَّارات النَّوم التي تسحبه بقوَّةٍ لم

يستطِع مقاومتها. ولكن قبل أن يغيب شعرَ بسؤالٍ أخير يفور على السَّطح.

- «لماذا تأتي في السَّاعة ١٢:٠٧ دائمًا؟».

وراحَ في النَّوم قبل أن يُجيبه الوحش.









شيء مشترَك

- «أوه، حمدًا لله!».

تسرَّبت إليه العبارة من قبل أن يستيقظ حتى.

سمِعَ: «كونر!»، ثم بصوتٍ أقوى: «كونر!».

صوت جدَّته.

فتحَ عينيه واعتدلَ جالسًا ببُطءٍ فرأى أن اللَّيل حلَّ. منذ متى وهو نائم؟ نظرَ حوله ليجد نفسه ما زالَ فوق الرَّبوة وراء منزله، مستكينًا بين جذور شجرة الطَّقسوس الشَّاهقة فوقه. رفعَ نظره إليها، وكانت مجرَّد شجرة.

لكنه كان ليُقسِم أنها ليست كذلك أيضًا.

- «كونر!».

رأى جدَّته تُقبِل جاريةً من اتِّجاه الكنيسة، وميَّز سيَّارتها المركونة على الطَّريق بأضواءٍ مشتعلة ومحرِّكٍ دائر.

قامَ إذ جرَت نحوه وقد أفعمَ ملامحها الضِّيق والارتياح وشيءٌ آخَر تعرَّفه بانقباضةٍ في قلبه.

عندما بلغَته صاحَت: «أوه، حمدًا لله، حمدًا لله!».

ثم فعلَت شيئًا مدهشًا.

ضمَّته إليها في عناقٍ قويٍ كادَ يُسقِطهما معًا، ولم يَحُل دون ذلك إلَّا استناد كونر إلى جذع الشَّجرة. ثم إنها تركَته وبدأت تزعق فعليًّا.

شبه صارخة قالت: «أين كنت؟! إنني أبحثُ منذ ساعات! لكم أفزعتني يا كونر! فيمَ كنت تُفكِّر؟!».

قال: «كان هناك شيء عليَّ أن أفعله».

جذبَته من ذراعه وهو يتكلَّم قائلةً: «لا وقت. يجب أن نذهب! يجب أن نذهب الآن!».

وتركَته وبدأت تعدو عدوًا نحو السيَّارة، وهو المشهد الذي أزعجَ كونر كثيرًا، لكنه جرى في أعقابها بحركةٍ شبه آليَّة، وقفزَ جالسًا على مقعد الرَّاكب الأمامي، ولم يُغلِق الباب حتى قبل انطلاقها بعُنفٍ جعلَ الإطارات تَصرُخ.

ولم يجرؤ على سؤالها عن الدَّاعي لهذه العجلة.

- «كونر». قالتها جدَّته فيما اندفعَت السيَّارة على الطَّريق بسرعةٍ مريعة، وفقط حين نظرَ إليها تبيَّن كم تبكي، وترتجف أيضًا. «كونر، لا يُمكنك أن...». بترَت قولها وواصلَت الارتجاف، ثم رآها تُحكِم

قبضتها أكثر حول عجلة القيادة.

بدأ يقول: «جدَّتي...».

قاطعَته: «لا، لا تُحاوِل».

مضيا في صمتٍ بعض الوقت، متجاوزيْن لافتات التَّمهُّل من دون نظرةٍ تقريبًا.

تفقَّد كونر حزام مقعده مرَّةً أخرى، وقال مثبّتًا نفسه إذ طارا فوق مطب: «جدَّتي؟».

وظلَّت تنهب الطَّريق.

أردفَ بهدوء: «أنا آسف».

على إثر قوله أطلقَت ضحكةً حزينةً ثقيلةً، وهزَّت رأسها قائلةً: «لا يهم، لا يهم».

- «حقًّا؟».

أجابَت: «طبعًا!»، وعادَت تبكي. على أنها ليست جدَّةً تسمح للبُكاء باعتراض طريق كلامها، وهكذا واصلَت: «أتدري يا كونر؟ إن بيننا مشكلةً في الانسجام، أليس كذلك؟».

قال كونر: «بلى، أظنُّ هذا».

قالت: «وأنا أيضًا»، واندفعَت تدور حول ناصية بسرعة دفعَت كونر إلى إمساك مقبض الباب ليظلَّ معتدلًا، ثم أضافَت: «لكن علينا الآن

أن نتعلَّم».

بلعَ كونر ريقه، وقال: «أعرفُ».

أطلقَت جدَّته نحيبًا قائلةً: «تعرف حقًّا، أليس كذلك؟ بالطَّبع تعرف».

ثم إنها سعلَت ليصفو حلقها وهي تُلقي نظرةً سريعةً على الجانبين عند مفترقِ طُرق، قبل أن تكسر الإشارة الحمراء بلا إبطاء. تساءلَ كونر كم السَّاعة، فلا توجد الآن حركة مرور تقريبًا.

أضافَت جدَّته: «لكن أتدري يا حفيدي؟ إن بيننا شيئًا مشترَكًا».

سألَها كونر فيما ظهرَ المستشفى فجأةً في مرمى البصر أمامهما على الطَّريق: «حقًّا؟».

- «أوه، نعم». قالتها جدَّته ضاغطةً بمزيدٍ من القوَّة على دوَّاسة السُّرعة، ورأى أن دموعها لا تزال تنهمر.

- «وما هو؟».

توقَّفت في أول بُقعة شاغرة رأتها على الطَّريق قُرب المستشفى، صاعدةً بالسيَّارة على الرَّصيف لتتوقَّف بصدمةٍ مكتومة.

ونظرَت إليه مباشرةً مجيبةً: «أمُّك. هي المشترَكة بيننا».

ولم يقل كونر شيئًا.

لكنه أدركَ ما تعنيه. أمُّه هي ابنتها، وأهمُّ شخصٍ عرفَه كلاهما على

الإطلاق، وهذا شيء مشترَك كبير جدًّا.

ومؤكَّد أنه نُقطة بداية.

أطفأت جدَّته المحرِّك، وفتحَت بابها قائلةً: «يجب أن نُسرِع».

الحقيقة

سبقَته جدَّته مقتحمةً غُرفة أمِّه وعلى وجهها تساؤُل رهيب، لكنها وجدَت في الدَّاخل ممرِّضةً أجابَتها من فورها: «لا بأس. وصلتِ في الوقت المناسب»، لتضع جدَّته يديها على فمها وتُطلِق صيحة ارتياح.

قالت الممرِّضة ناظرةً إلى كونر: «أرى أنكِ عثرتِ عليه».

اكتفَت جدَّته بقول: «نعم».

كانت عيناها وعينا كونر على أمِّه.

الغُرفة مظلمة غالبًا، باستثناء ضوءٍ وحيد فوق سريرها حيث تمدَّد مغلقةً عينيها، وقد بدا صوت أنفاسها كأن على صدرها عبئًا ثقيلًا. تركَتهما الممرِّضة معها، وجلسَت جدَّته على المقعد المواجه عبر سرير أمِّه، مائلةً إلى الأمام لتُمسِك إحدى يديها وتحتويها بيدها وتُقبِّلها وهي تتأرجَح إلى الأمام والخلف.

سمِعَ كونر: «أمِّي؟». صوت أمِّه الثَّقيل الخفيض للغاية، لدرجة أن تمييز ما تقوله شبه مستحيل.

قالت جدَّته ممسكةً يدها ما زالَت: «أنا هنا يا حبيبتي. كونر هنا أيضًا».

همهمَت أمُّه من غير أن تفتح عينيها: «حقًّا؟».

رمَته جدَّته بنظرةٍ تحثُّه على قول أيِّ شيء، فقال: «أنا هنا يا ماما».

لم تقل أُمُّه شيئًا، لكنها مدّت إليه يدها الأقرب.

تَطلُب منه أن يُمسِكها.

يُمسِكها ولا يَترُكها.

وقال الوحش من خلفه: *ها هي ذي نهاية الحكاية الرّابعة.*

همَس كونر: «ماذا أفعلُ؟».

أحسَّ بالوحشِ يضع يديه على كتفيه، وبشكلٍ ما كانتا صغيرتيْن بما فيه الكفاية ليَشعُر كأنهما تُثبِّتانه.

- *ما عليك إلّا أن تقول الحقيقة.*

- «أخشى قولها». في الضَّوء المعتم كان يرى جدَّته مائلةً فوق ابنتها، ويرى يد أُمِّه الممدودة وعينيها المغلقتيْن.

قال الوحش دافعًا إياه إلى الأمام ببُطء: *بالطَّبع تخشى قولها، لكنك ستقولها رغم هذا.*

وفيما قادَته يدا الوحش برفقٍ ولكن بحزمٍ نحو أُمِّه، رأى كونر السّاعة على الحائط فوق سريرها، وبطريقةٍ ما كان الوقت ١١:٤٦ بالفعل.

إحدى وعشرون دقيقةً حتى السّاعة ١٢:٠٧.



أرادَ أن يسأل الوحش عمَّا سيَحدُث حينئذٍ، إلَّا أنه لم يجرؤ.

لأنه يَشعُر بأنه يعرف.

همسَ الوحش في أُذنه: *إذا قلت الحقيقة فستتمكَّن من مواجهة ما هو آتٍ أيًّا كان.*

وهكذا عادَ كونر ينظُر إلى أمِّه ويدها الممدودة، شاعرًا بحلقه يختنق من جديدٍ وبالدُّموع تملأ عينيه.

على أنه ليس شعورًا بالغرق كما في الكابوس، بل شعور أبسط وأصفى.

لكنه لا يقلُّ صعوبةً.

وأمسكَ كونر يد أمِّه.

فتَحت عينيها لحظةً عابرةً لتراه هناك، ثم أسبلَت جفنيها ثانيةً.

لكنها رأته.

وعلِمَ أن اللَّحظة حلَّت، علِمَ أن لا سبيل للعودة حقًّا، أن ما سيَحدُث حادثٌ لا محالة، مهما كانت رغبته، مهما كانت مشاعره.

وعلِمَ أيضًا أنه سيتجاوَزه.

سيكون شيئًا شنيعًا، شيئًا أشنع من شنيع.

لكنه سينجو.

ولهذا السَّبب جاءَ الوحش، مؤكَّد أنه كذلك. كونر احتاجَ إليه، وبوسيلةٍ ما ناداه هذا الاحتياج، فجاءَ يسعى من أجل هذه اللَّحظة وحدها.

قادرًا على الكلام بصعوبة، همَس كونر للوحش: «هل ستبقى؟».

أجابَه ويداه على كتفيه: *سأبقى. والآن كلُّ ما عليك هو قول الحقيقة.*

وقد كان.

أخذَ كونر شهيقًا.

وأخيرًا قال الحقيقة الأخيرة الكاملة.

- «لا أريدكِ أن ترحلي». قالها والدُّموع تتساقَط من عينيه، ببُطءٍ أولًا، قبل أن تتدفَّق كالنَّهر.

قالت أمُّه بصوتها الثَّقيل: «أعرفُ يا حبيبي، أعرفُ».

كان يحسُّ بالوحش يُثبِّته ويجعله يقف في مكانه.

قال ثانيةً: «لا أريدكِ أن ترحلي».

وهذا هو كلُّ ما احتاجَ إلى قوله.

مالَ كونر إلى الأمام فوق سريرها وطوَّقها بذراعيه.

يُعانِقها.

وعلِمَ أن اللَّحظة آتية، وعمَّا قريب، ربما عند السَّاعة ١٢:٠٧ تحديدًا، اللَّحظة التي ستفلت فيها من قبضته مهما تشبَّث بها.

همسَ الوحشِ الذي لا يزال يقف قريبًا: *لكنها ليست اللَّحظة الحاليَّة، ليس بعد.*

واحتضنَ كونر أمَّه بمنتهى القوَّة.

وبفعله هذا، استطاعَ أخيرًا أن يدعها ترحل.



المؤلِّف: باتريك نِس روائي وصحافي وسينارست أمريكي بريطاني، وُلد في أكتوبر ١٩٧١، له عدد كبير من الرِّوايات والمجموعات القصصيَّة للكبار وصغار البالغين، حاصلة على جوائز أمريكيَّة وبريطانيَّة، منها «وحوش البشر» و«كان المحيط سماءنا» و«الفوضى على قدمين».

الرَّسام: عملَ جيم كاي في قسم المحفوظات بمتحف تيت بريطانيا وحدائق النباتات الملكيَّة قبل تفرُّغه للرَّسم، وحصلَ على وسام كيت جرينواي في عام ٢٠١٢ لرسومه في رواية «نداء الوحش» لباتريك نِس، واختارَته ج. ك. رولنج لرسم الإصدار الملوَّن بالكامل لسلسلتها «هاري بوتر». يقيم كاي في المملكة المتَّحدة.

المترجم: هشام فهمي مترجم وكاتب مصري، وُلد في الإسكندريَّة في عام ١٩٨٣، وترجمَ عددًا كبيرًا من الأعمال العالميَّة، منها «الهوبيت» لتولكين، «أغنيَّة الجليد والنار» و«تنِّين الجليد» لجورج مارتن، «المحيط في نهاية الدرب» و«كورالاين» لنيل جايمان، «سرسي» لمادلين ميلر، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك بولانك.